خامساً : التاريخ والحضارة الإسلامية

" الدعوة العباسية في الأندلس وتحولاتها "

(من المطالبة بالحق الشرعي إلى طلب الشرعية السياسية)

فيما بين القرن ٢ إلى ٧ هـ

إعداد

د. خالد بن عبد الكريم البكر

أستاذ مشارك بقسم التاريخ ـ كلية الآداب

جامعة الملك سعود ـ الرياض

" الدعوة العباسية في الأندلس وتحولاتها "

(من المطالبة بالحق الشرعي إلى طلب الشرعية السياسية)

فيما بين القرن ٢ إلى ٧ هـ

ملخص البحث:

يتناول قضية مهمة من قضايا الفكر السياسي عند المسلمين ، والمتمثلة في تكريس مبدأ الانفصال عن وحدة أراضي الخلافة الإسلامية ، حيث يمكن اعتبار الأندلس الأموية حاملة لواء هذا المشروع السياسي . لذا اتجهت الدراسة إلى تحليل الظروف التاريخية التي ساهمت في تطور الفكرة في بلاد الأندلس .

لقد تنوعت الدعوات العباسية وتباينت أغراضها في بلاد الأندلس طوال فترة تاريخها الإسلامي ، فبعضها أتى من خارج الأندلس ، وأتى بعضها الآخر من الداخل ، لكنها جميعاً لم تنجح في إخضاع الأندلس لسلطة بغداد خضوعاً مباشراً .

أشارت الدراسة إلى أنه كان في وسع أمويي الأندلس التفرد بإدارة شؤون البلاد مع الاحتفاظ بالولاء الاسمي للخلافة العباسية ، بدلاً من مواجهة الثورات المتتالية التي كابدوها ثمناً لقرار الانفصال . كما رصدت الدراسة تدهور الفكر السياسي عند المسلمين والمتمثل في وثوب عبد الرحمن (الناصر) لاتخاذ لقب الخلافة ، دون أدنى ردة فعل غاضبة من الرأي العام الإسلامي في الأندلس .

The Abbasid call in Al-Andalus and its transformations from claiming the legal right to the political legitimacy among BC 2-7

Dr. Khalid Bin Abdulkarim Al Bakr

Abstract:

The research deals with one of the most important political issues among Muslims, that is the principle of consecrating the unity separation of the Islamic caliphate, where the Umayyad Andalusia can be considered as the carrier of this political project. So the study tended to analyze the historical circumstances that contributed to the development of this conception in Andalusia.

The Abbasid have varied calls and purposes throughout the period of Islamic history in Andalusia, some of them came from outside of Andalusia, and others came from the inside, but they all did not succeed to subject Andalusia to Baghdad authority directly.

The study pointed out that Umayyad of Andalusia was able to rule the country solely while maintaining nominal allegiance to the Abbasid caliphate, rather than facing the successive revolutions that they have suffered from as a price for their resolution of secession. The study monitored the deterioration of political thought among the Muslims represented by Abdul Rahman (Al-Nasser) trial to take the title of Al-Khalifa, without the slightest reaction from the public opinion of the Muslims in Andalusia.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة :

من الرؤى الشائعة لدى كثير من دارسي التاريخ الإسلامي أن هناك تنافراً ملحوظاً بين كلمتي : الخلافة العباسية ، والأندلس . فالخلافة العباسية التي بسطت هيمنتها على كافة أرجاء العالم الإسلامي ولفترة زمنية طويلة ؛ لم تحكم الأندلس يوماً ما ، ولم تذق الخزينة العباسية شيئاً من أموال الجباية في الأندلس . بل إن الأندلس هي أول إقليم من أقاليم العالم الإسلامي يرفض السيادة العباسية ، ويجترئ على تكوين إمارة منفصلة عن مظلة الخلافة ، فجاء ذلك (الانفصال) تكريساً لمفهوم جديد في السياسة الشرعية الإسلامية أفضى ـ فيما بعد ـ إلى التمييز بين إمارة الاستيلاء وإمارة الاستكفاء ، ثم جاء مفهوم آخر ضربت فيه الأندلس بنصيب موفور ، وهو (انتحال لقب الخلافة وإمرة المؤمنين) ، فتعدد منصب الخلافة في العالم الإسلامي ، ووجد الفكر السياسي الإسلامي نفسه مضطراً إلى تقنين الوضع الجديد . إن كلا المفهومين : الانفصال ، وانتحال لقب الخلافة ، قد عكسا تدهور الرأي العام الإسلامي منذ منتصف القرن الثاني الهجري فما بعده ، إذ مسّا الشرعية السياسية في العالم الإسلامي ، وساهما في إعادة صياغتها على نحو جديد . وكان للأندلس دور فاعل و متميز في ذلك كله ، لكن المفارقة هنا هي أن ظل الخلافة العباسية لم يفارق مخيلة الأندلسيين مُذ قامت الخلافة العباسية وحتى أوان رحيلها . فما أشكال التجاذب السياسي بين العباسيين والأندلس ؟ وما أسباب الممانعة الأندلسية في الانضواء تحت رداء العباسيين ؟ ثم ما دوافع التوجه الأندلسي ـ فيما بعد ـ نحو الاحتماء بشرعية الخلافة العباسية ؟

انطلقت الثورة العباسية من مشرق العالم الإسلامي وتكونت مادتها من عناصر مشرقية ، وحمل لواءها الخراسانيون ، حتى إذا حققت أهدافها واستقرت دعائمها كدولة خلافة وريثة شرعية للخلافة الأموية الذاهبة ؛ تطلع الخلفاء الجدد إلى فرض هيمنتهم على أقاليم العالم الإسلامي ، غير أن التفات العباسيين إلى

المشرق الإسلامي كان أوضح من اهتمامهم بمغربه ، ولا غرو فهي نقطة انطلاقهم ومادة قوتهم العسكرية ، ومن الجلي البين أن توجه العباسيين مختلفٌ عن توجه أسلافهم من الأمويين ؛ ففي حين كان الأخيرون معنيين أكثر بالتوجه غرباً والتوسع في عالم البحر المتوسط ؛ كان العباسيون مستغرقين في الشرق متطلعين إليه ، فغلب عليهم الطابع الآسيوي [١]. وعلى هذا الأساس يمكن تفسير ضعف الهيمنة العباسية على بلاد المغرب الأقصى والذي تطور في مرحلة لاحقة إلى انفصال دويلات عن جسم الخلافة الإسلامية ، بحيث كانت بداية هذا الانفصال من المغرب أولاً . ومع ملاحظة أن الأمويين واجهوا معاناة كبيرة في إخضاع المغرب ، إلا أنهم مضوا إلى غايتهم وكانوا مصممين على بلوغها عكس العباسيين الذين رأوا استبدال هذه المنهجية بالعمل الدبلوماسي وفي حدوده الدنيا في بعض الحالات .

ونخرج من ذلك إلى أن السياسة العباسية في بلاد المغرب كانت تُنذر بتطورات سياسية في المنطقة ، وتهيئ الجو للمغامرين السياسيين والطامحين في السلطة . ولعل عبد الرحمن بن حبيب الفهري [٢] الذي انتزع ولاية إفريقية من حنظلة بن صفوان الكلبي [٣] سنة (١٢٧ هـ / ٧٤٤ م) كان في مقدمة أولئك المتطلعين للانفصال عن المظلة العباسية ؛ فقد اتسمت علاقته بالخلفاء الجدد بالنفور والوحشة ، ورغم أنه اعترف بتبعيته للخلافة وانضوى تحت مظلتها في بادئ الأمر ؛ إلا أنه لم يلبث أن نفض يديه من حبل الطاعة ، وتبرأ من على المنبر من خلافة أبي جعفر المنصور وجعل نفسه في حلٍ من بيعته عندما طالبه المنصور بالحصة المالية المقررة للدولة من ولاية إفريقية . كان ذلك سنة (١٣٧ هـ / ٧٥٤ م) حيث يُعد ابن حبيب أول من تمرد على الخلافة العباسية من ولاة الأقاليم وأعلن انفصاله عنها ، فقد جمع الناس للصلاة وبين لهم أسباب القطيعة، فقال : " إني ظننت أن هذا الخائن - يعني المنصور - يدعو إلى الحق ويقوم به ، حتى تبيّن لي خلاف ما بايعته عليه من إقامة العدل ، وإني الآن قد خلعته كما خلعت نعلي هذا " [٤] ، وأتبع ذلك بنزع شعار الدولة العباسية ، وهو

اللون الأسود ، لون الثياب الرسمية والرايات ، فأمر بتمزيقها وإحراقها وهو يقول: " إن هذا لباس أهل النار في النار " [٥] ، ورغم أنه لم يمض إلى ما هو أبعد من ذلك ، كأن ينتحل ـ مثلاً ـ لقب الخلافة مستفيداً من نسبه القرشي وما لأسرته الفهرية من مكانة متميزة في المنطقة لا سيما بين العرب البلديين وهم المستقرون الأوائل في المنطقة عقب افتتاحها ؛ إلا أن الرأي العام ـ وقتئذ ـ لم يكن ليتقبل فكرة تجزئة دار الإسلام فضلاً عن التمرد والعصيان ضد الخلفاء الشرعيين ، ولذا لم يمض عام أو بعض عام على إجراء ابن حبيب حتى لقي الرجل حتفه ، وعلى يد من ؟ على يد أخيه إلياس بن حبيب الذي استلم مقاليد السلطة من بعده وأعلن طاعته للعباسيين ، ذلك أن أعيان القيروان [٦] كبُر عليهم الانسلاخ عن جسم الخلافة الإسلامية فبدأوا التحرك ضد عبد الرحمن لعزله أو قتله واستبداله بأخيه إلياس الذي كان يشاطرهم الرأي إضافة إلى ما كان يعتمل في نفسه ضد أخيه ، إذ شعر إلياس بمحاولات تهميشه وتقديم ابن أخيه " حبيب بن عبد الرحمن " عليه رغم جهوده الكبيرة في تأسيس الإمارة الفهرية ، وانتهت إلى عبد الرحمن أنباء هذه التحركات ، فرأى أولاً التخلص من أخيه إلياس وإبعاده عن القيروان ، وذلك بتعيينه والياً على طرابلس [٧]، وما كاد يمضي في تنفيذ إجرائه هذا حتى وثب أخوه إلياس عليه في قصره ، مُظهراً أنه جاء لوداعه قبل مسيره إلى ولايته الجديدة ، فقتله في ذي الحجة من عام (١٣٧ هـ / ٧٥٤ م) ، وبدعم وتأييد من أخيهما الثالث (عبد الوارث) ! ، وحين آلت مقاليد السلطة إلى الأمير الجديد أعلن طاعته للخلافة العباسية و بعث ببيعته لأبي جعفر المنصور مع قاضي إفريقية عبد الرحمن بن زياد بن أنعم (ت ١٦١ هـ / ٧٧٧ م) [٨] ، وفي ذلك ما يشي أن فقهاء المنطقة وعلماءها كانوا معارضين لموقف عبد الرحمن بن حبيب من الخلافة العباسية . وأعتقد أن تلك الحادثة قد ألقت بظلالها على أقاليم أخرى من المغرب الإسلامي ، فاستوعب تفاصيلها مغامرٌ آخر عرف ابن حبيب عن كثب وعاش تحت كنفه لبعض الوقت ، وذلكم هو الأمير الأموي عبد الرحمن بن معاوية الذي طاردته خيل العباسيين ولاحقته عيونهم حتى ألجأته إلى قاصية

المغرب ومنها عبر إلى الأندلس سنة (١٣٨ هـ/ ٧٥٥ م) ليجدّد رسوم أسرته الأموية في الحكم والإدارة . ورغم مشاعر العداوة والبغضاء التي كان يجيش بها عبد الرحمن الداخل ضد العباسيين ؛ إلا أنه كان من الحصافة بحيث استفاد من تجربة ابن حبيب المشار إليها ، فلم يجرؤ على إعلان انفصاله عن الخلافة العباسية رغم استبداده بأمور الأندلس ، إذ أدرك الفارق بين " الخلافة " وما تمثله من قيمة دينية ، وبين " الخلفاء " وما يعبرون عنه من رمزية سياسية معينة ، فرأى ألا يصادم الناس في مشاعرهم الدينية ، وألا يُظهر نفسه بصورة الخارج المتمرد الذي شق عصا الطاعة ، وطالما أن مقاليد الأمور إليه وخيوط السلطة بين يديه ، فلا حرج من أن يدعو لخلفاء بني العباس ـ وإن كانوا خصومه ـ إلى أن يُمكّن لإمارته الوليدة في الأرض فتستوي على سوقها ويستقيم عودها .

على أن الدعاء للعباسيين في الأندلس قد سبق مجيء عبد الرحمن بن معاوية إليها ، ومن ثم فإن دعوة الداخل للعباسيين في الأندلس لم تكن هي الأولى من نوعها ، وإنما سبقتها دعوة حمل لواءها عامر بن وهب بن عمرو العبدري مستفيداً من شرف محتده كونه ينتمي في قريش وسؤدده في قرطبة [٩] إذ كان يلي حملات الصوائف أواخر عصر الولاة [١٠] . كان عامر بن وهب يتزعم قبائل مضر في الأندلس ويقودها خلال الحوادث ، وهو عريق الحسب والعصبية ، وافر الجاه والأتباع ، كان صديقاً ليوسف الفهري قبل ظفره بالإمارة يتولى مثله قيادة الجيش فلما ولي يوسف نزعها منه ، فانضم عامر إلى بقية الزعماء المحليين الناقمين على يوسف والصميل [١١] استئثارهما بالسلطة ، فأخذ يتحين الفرص للوثوب ، وحين اتسع نطاق الثورة في الأندلس شرع في تدبير وسائل الخروج على يوسف فبسط نفوذه أولاً على الجزيرة الخضراء [١٢] ثم انتقل إلى قرطبة يرقب تطور الأحداث . ولما كانت القبائل اليمنية في الأندلس تجيش بمشاعر التذمر والاستياء عقب انكسارهم في وقعة شقندة سنة (١٣٠ هـ / ٧٤٧ م) [١٣] فقد سعى عامر في توظيفها لصالح مشروعه المستقبلي ، فأعلن معارضته لصنيع يوسف والصميل بهم ، كما قام ببعض التدابير الاحترازية فابتنى حظراً في منية له بغربي

قرطبة كان يقال لها : قناة عامر ، وأغلق على نفسه فيها ، وهم أن يجعلها مدينة وأراد أن يبتني بها بنياناً [١٤] ينضم إليه ويناوش يوسف حتى يأتيه أمداد اليمن [١٥] . ثم اتخذ خطوة مهمة فاتصل بالخلافة العباسية ، وكتب إلى أبي جعفر المنصور يطلب مرسوماً بتعيينه والياً على الأندلس ، وأن يحكمها باسم الخلافة العباسية ، ورغم أن مصادرنا لا تبسط القول في كيفية هذا الاتصال السياسي ، وما إذا كان قد تم بواسطة المكاتبات المباشرة بين الزعيم المُضري وبين الخليفة المنصور ، أم عبر التنسيق مع أنصار العباسيين في المغرب والأندلس ، مثلما أنها لا تبين بوضوح كافٍ ردّ الخلافة العباسية على طلب عامر بن وهب ؛ إلا أنه يمكننا القول أن العباسيين ردوا بالإيجاب على دعوة عامر بن وهب ، فبعثوا إليه بسجل الولاية على الأندلس ، وقد أظهره عامر بن وهب فيما بعد [١٦] . واللافت أن مصادرنا لا تحدثنا عما إذا كانت هناك مكاتبات قد جرت ابتداءً بين الخلافة الجديدة والوالي القائم بالأندلس ـ يوسف الفهري ـ يدعونه فيها إلى الانضواء تحت طاعتهم ، فإن هو أبى أمكن لهم فيما بعد أن ينظروا في دعم أحد الزعماء المحليين المناهضين لوالي الأندلس !

ربما كان مردُّ هذا الصمت يرجع إلى عدم وجود مكاتبات أصلاً بين الطرفين بهذا الخصوص ، وقد يُعلل إحجام الخلافة العباسية عن الاتصال بوالي الأندلس بكونها مقتنعة بالاقتصار على الاتصال بوالي إفريقية عبد الرحمن بن حبيب الفهري نظراً لأن الأندلس تابعة إدارياً لولاية إفريقية ، أو لأن فهري الأندلس سيدخل فيما دخل فيه ابن عمه صاحب إفريقية ، سواءً بإعلان الطاعة للعباسيين أم بردّها ، ومن هنا يمكن لنا أن نتبين سبب قيام عامر بن وهب بالتحرك ضد يوسف الفهري سنة (١٣٧ هـ/ ٧٥٤ م) بالذات ، رغم أنه كان ناقماً على يوسف ـ وفقاً لمصادرنا ـ لاستبداده بالأمر وصرفه عن قيادة الجيش ولإسرافه في قتل اليمانية منذ وقعة شقندة سنة (١٣٠ هـ/ ٧٤٧م) ، حيث مضت أعوامٌ سبعة قبل أن يتحرك عامر . الواقع أن سنة (١٣٧ هـ/ ٧٥٤ م) قد شهدت القطيعة السياسية بين ولاية إفريقية وبين الخلافة العباسية ، حيث أعلن عبد الرحمن

ابن حبيب الفهري من على المنبر نقضه لبيعة أبي جعفر المنصور وأنه في حلٍ منها ، ولم يتأخر الرد العباسي كثيراً ، حيث دفع ابن حبيب ثمن جرأته فقتل على يد أخيه إلياس بن حبيب .

في خضم هذه التطورات السياسية في إفريقية من السنة المذكورة ؛ تحرك العباسيون نحو الأندلس ، لا سيما وأن أميرها الفهري لم يبد تجاه خلفاء بني العباس بادرة ود أو مؤشر طاعة ولو على الأقل بعد حادثة ابن حبيب ، وهذا ما يدعو للتساؤل حول تصرف يوسف الفهري ! ما الذي حبسه عن التماس دعم الخلفاء الجدد والاتصال بهم واكتساب غطاء شرعي ليقطع الطريق على خصومه ؟ قد يبدو أن افتقار يوسف الفهري لموهبة العمل السياسي لها أثر في ذلك ، رغم أنه في النهاية ليس ملزماً بطاعة والي إفريقية ، باعتبار أن تقديم الفهري لولاية الأندلس لم يصدر بقرار من والي إفريقية مثلما كان الحال عليه فيما مضى ؛ وإنما بتقديم رؤساء الأندلس وزعمائها له لكونه قرشيٌ . فحسب . وذلك لدرء فتنة الاقتتال بين قبائلها [١٧].

ربما يكون هذا الإحجام من يوسف قد شجع العباسيين على دعم عامر ابن وهب ، ولعلهم دعموا غيره في تلك الفترة ، لأن الدعوة ذاعت في منابر الأندلس رغم هزيمة عامر فلعلها ذاعت على يد علماء أو زعماء .

شعر يوسف بتعاظم خطر عامر بن وهب ، وتشي عبارة صاحب " أخبار مجموعة " : (وضعف سلطان يوسف حتى كان لا يركب معه خمسون رجلاً من حشمه فضعف الناس عليه بالأندلس) [١٨] بأن عامر اكتسب مزيداً من الأنصار على حساب أتباع يوسف ؛ ثم إنها تصف ما كان يجري في قرطبة من ترقب أحد الزعيمين للوثوب بالآخر ، فهمّ يوسف بذلك أولاً لكنه وجد عامراً قد تحوط لنفسه واستعمل الحذر ، إذ كانت تصل إليه أخبار يوسف وتحركاته ، ولم يشأ الأخير أن يدخل في مواجهة مسلحة غير مأمونة العواقب مع عامر بن وهب وخصوصاً أنه يفتقد وزيره ومدبّر أمره الصميل بن حاتم . وكان موجوداً بسرقسطة [١٩]ـ ، فكتب إلى الصميل يطلعه على الموقف ، وردّ الأخير بتحريضه

على قتل عامر ، وانتهت إلى مسامع عامر هذه المكاتبات ومضمونها ، فقرر الخروج من قرطبة ولكن إلى أين ؟ إلى سرقسطة في الشمال حيث يوجد الصميل نفسه والياً عليها . قد يبدو هذا الإجراء غريباً بعض الشيء من عامر ، لكن المتأمل في تفاصيل الموقف في الأندلس خلال تلك الفترة يدرك بأن هناك ثمة أسباب دفعت عامر إلى الهروب من قرطبة واللحاق بسرقسطة ، فمنها وجود عدد من بني عبد الدار المستقرين في سرقسطة ، وخوف عامر على ممتلكات عشيرته وربما ممتلكاته هو أيضاً من إجراءات الصميل في المنطقة [٢٠] ، إضافة إلى كثرة القبائل اليمانية في سرقسطة [٢١] وهم رهان عامر بن وهب في مشروعه المستقبلي ، مع ملاحظة أن عامر كان يمتلك خبرة جيدة في القتال في المناطق الشمالية إذ كان يلي الصوائف منذ مدة ، ثم إن بُعدها نسبياً عن مركز الولاية قد يتيح له فرصة أفضل للعمل ضد يوسف الفهري ، إذ قد يلجأ - عند الضرورة - إلى الاستعانة بجيران الأندلس في الشمال . ولعل هذا هو ما جعل عامر يصرف نظره عن الاستعانة بمدن الأندلس الأخرى ، أما ما ذكره صاحب أخبار مجموعة [٢٢] من أن ضعف مدن الأندلس عقب معركة شقندة وتوالي سنوات القحط التي أنهكت البلاد قد صرفت عامراً عن التفكير بأيٍ من هذه المدن لاحتضان مشروعه المقبل فلا أراه مقنعاً ؛ لكون القحط عم جميع البلاد بما فيها سرقسطة ، فضلاً عن أن معركة شقندة مضى عليها ما يناهز الستة أعوام وهي كافية لأن ينهض اليمانون من كبوتهم ويعيدوا بناء قوتهم .

حين استقر عامر في سرقسطة أظهر سجل أبي جعفر المنصور [٢٣] له بالولاية على الأندلس وأعلن الدعوة للعباسيين ، وكتب إلى زعيم من سرقسطة يدعوه إلى نصرته لا سيما وقد جمع بينهما النسب القرشي ؛ وذلكم هو الحُباب ابن رواحة الزُهري [٢٤] فأجابه إلى ما أراد ، كما دخل في دعوته قرشيٌ آخر من سرقسطة هو تميم بن معبد الفهري فدعوا الناس بهذه الدعوة فانضمت إليهم جموعٌ من قبائل اليمن وعددٌ من البربر وعلا شأنهم ، ففزع الصميل بن حاتم والي سرقسطة ، وحاول معالجة الأمر قبل استفحاله فبعث كتيبة من جيشه إلى عامر ومن معه لكنها عادت مهزومة ، واستطاع عامر أن يسير بأتباعه إلى مقر

الصميل فيضرب عليه حصاراً محكماً استطال أمده حتى جعل الصميل يكتب إلى يوسف في طلب الأمداد والنجدة لكن دون جدوى نظراً لوهن القوة العسكرية لدى يوسف جرّاء الفتن المتتالية التي أنهكت الطاقة البشرية ، علاوة على انحباس المطر وقلة الأقوات الغذائية ، ولربما كان يوسف الفهري غير مبالٍ بما وقع للصميل على يد عامر . جرى ذلك في سنة (١٣٦ هـ / ٧٥٣ م) [٢٥] ، حينها رأى الصميل أن يستنجد بقبائل القيسية في جُند قنّسرين ودمشق فنهضوا إليه في نحو ثلاثمائة وسبعة وستين فارساً بزعامة سليمان بن شهاب العامري وعبيد الله بن علي الكلابي إضافة إلى ثلاثين فارساً من موالي بني أمية برئاسة أبي عثمان عبيد الله بن عثمان [٢٦]، وعبد الله بن خالد [٢٧] . من الواضح إذاً ؛ أن القيسية في الأندلس لم تكن لتستهويها الدعوة للعباسيين ، وخصوصاً أن الأمويين انحازوا إليهم ـ أواخر سنوات حكمهم ـ على حساب منافسيهم من اليمانية ، وقد يعزز ذلك شعر أبي الخطار الكلبي في إفريقية ـ وهو أحد وجوه اليمانية في الغرب الإسلامي ـ ، إذ قال [٢٨]:

أفأتم بني مروان قيساً دماءنا وفي الله إن لم تنصفوا حكم عدل
كأنكم لم تشهدوا مرج راهط ولم تعلموا من كان ثم له الفضل
وقيناكم حر الوغى بصدورنا وليست لكم خيل تعد ولا رجل
فلما رأيتم واقد الحرب قد خبت وطاب لكم منها المشارب والأكل
تعاميتم عنا كأن لم يكن لنا بلاء وأنتم ما علمتم بها فعل
فلا تجزعوا أن عضت الحرب بيننا وزلت عن المرقاة بالقدم النعل
أو انفث حبل الوصل وانقطع الهوى ألا إنما يلوي فينقطع الحبل

وهذا العدد القليل من الفرسان الذين جادت بهم مُضر يعكس حجم الضعف الذي أصاب الطاقة العسكرية من جراء الحروب وسنوات المحل ، غير أن عددهم تضاعف في الطريق حيث انضم إليهم من بكر بن وائل أكثر من

أربعمائة فارس وهم بالقرب من وادي آنة [٢٩] ، وقد نجح المدد بأعداده القليلة هذه في فك الحصار عن الصميل ، وهذا يعني أن أمر ابن وهب وحليفه الزهري لم يكن أحسن حالاً مما أصاب بقية أجناد الأندلس من الوهن ، إضافة إلى أن عدد قوات عامر قد لا يزيد على الألف مقاتل ، ما يوحي بأن قبائل اليمن لم تكن جميعها انضوت تحت فكرة الدعوة العباسية التي جاء بها عامر . لم ينهض يوسف الفهري لمساعدة الصميل إلا بعد مضي عام أو نحوه ، إذ خرج إلى الثغر في ذي القعدة من سنة (١٣٧ هـ / ٧٥٤ م) ، حيث أخصب الناس في تلك السنة [٣٠]، وضرب يوسف حصاراً على سرقسطة فأشفق أهلها من عواقب الحصار ورأوا عدم السير في ركاب عامر بن وهب ودعوته ، فآثروا السلامة والتمسوا العفو ، ويبدو أنهم أبرموا اتفاقاً مع يوسف بحيث يرفع الحصار عنهم مقابل تسليم عامر وحليفه الزهري إلى يوسف ، وكذلك فعلوا إذ قبضوا على عامر وابنه والزهري وبعثوهم مكبلين إلى يوسف ، فقتلهم يوسف في طريق عودته إلى قرطبة في مكان يسمى " وادي شَرَنبة " [٣١] .

قد يعجب المرء لهذه النهاية السريعة لزعيم يدعو بدعوة الخلافة القائمة في مدة لا تتجاوز عاماً من القيام بدعوته ، والواقع أن هزيمة عامر بن وهب ظهرت بوادرها بعد أن تبيّن عدم قدرته على مواجهة جموع القيسية الذين قدموا لنصرة الصميل ، ولعل تلك النهاية السريعة توحي بأن الدعوة إلى طاعة العباسيين لم يرن صداها في مسامع الأندلسيين ولم تحظ بتأييد شعبي كاف إما للضعف العام الذي انتاب الأندلسيين وأنهك اقتصادياتهم ومواردهم وقتئذ ، وإما لكون عامر بن وهب لم ينجح في نشر الدعوة واستقطاب مؤيدين لها من الزعامات المحلية بالشكل المطلوب . على أنه يستفاد من الإشارات التي أوردتها بعض المصادر أن الدعوة العباسية ذاعت بعد ذلك في منابر معظم نواحي الأندلس أثناء دخول عبد الرحمن بن معاوية إليها [٣٢] بل وذاعت في قرطبة نفسها ، وبعبارة أخرى نقول بأن الدعوة العباسية انتشرت في فترة ما بعد هزيمة عامر بن وهب الداعية الأول للعباسيين في الأندلس إلى قبيل دخول عبد الرحمن

ابن معاوية الأندلس ، أي فيما بين عامي (١٣٧ ـ ١٣٨ هـ / ٧٥٤ ـ ٧٥٥ م) ، فكيف يمكن تفسير هزيمة عامر بيسر وسهولة وبين انتشار الدعوة عقب ذلك ؟ فالداعية انتهى أمره لكن الدعوة بقيت وصمدت ! أعتقد أن تفسير ذلك يكمن في قرار والي الأندلس يوسف الفهري بإقامة الدعوة العباسية على منابر الأندلس ، حيث خطب للخليفة المنصور [٣٣] ، ومن الواضح أن مبادرة يوسف بالدعاء للعباسيين جاءت عقب فراغه من القضاء على عامر بن وهب في محاولة منه لقطع الطريق على طموح الثوار ولاكتساب غطاء شرعي لحكمه البلاد ، ولثني الخلافة العباسية عن المضي مجدداً في تحريض الزعماء المحليين في البلاد ودعمهم ضد السلطة القائمة ، خاصة أنهم قد نجحوا في التخلص من ابن عمه عبد الرحمن بن حبيب الفهري الذي أدار ظهره للخلافة العباسية ، حيث أدرك يوسف خطورة الاجتراء على مقام الخلافة الشرعية لا سيما في مثل ذلك الوقت المبكر .

استمر دعاء يوسف الفهري للخليفة المنصور لأقل من عام ، أي من تاريخ القضاء على عامر العبدري في ذي القعدة من (١٣٧ هـ / ٧٥٤ م) إلى دخول عبد الرحمن الأندلس في ذي الحجة من (١٣٨ هـ / ٧٥٥ م) ، ومن أسف أن المصادر التي بين أيدينا لا توضح موقف الخلافة العباسية من هذا التوجه الجديد لوالي الأندلس ، ولا تذكر شيئاً عما إذا كانت الرسل والمكاتبات مشت بين يوسف الفهري وخلفاء بغداد أم لا ؟ وحين جاء الداخل قرطبة وجد الدعوة العباسية قائمة بها فقرر عدم مصادمة هذا التوجه ولكن إلى حين ، أي أن الداخل لم يبادر بإعلان الدعاء للعباسيين كإجراء مرحلي ، وإنما وجد وضعاً قائماً فرأى عدم التعجل في تغييره إلى أن يجئ الوقت المناسب .

لقد كانت أول خطبة جمعة للداخل في العاشر من ذي الحجة (١٣٨ هـ/ ٧٥٥ م) حيث خطب الناس في الجمعة ووعدهم خيراً [٣٤] ، وظل يدعو في خطبته باسم العباسيين مدة عامين [٣٥]، وقيل عشرة أشهر [٣٦] إلى أن قرر إسقاطها . ويبدو أن القول الأول ـ أعني الدعاء للعباسيين لمدة عامين ـ هو الأصوب ، وذلك

بالنظر إلى أن الذي أشار على عبد الرحمن بقطع الدعوة العباسية هو عبد الملك ابن عمر بن مروان ، وقد دخل هذا الأندلس سنة (١٤٠ هـ / ٧٥٧ م) [٣٧] ، وهي السنة التي جرى فيها إلغاء الدعاء للخليفة العباسي على منابر الأندلس . ويشير أحد الباحثين [٣٨] إلى أن الخليفة المنصور كان يتوقع إقدام عبد الرحمن الداخل على إسقاط اسمه من الخطبة في الأندلس ، بل إنه لم يكن يتوقع أن يواصل عبد الرحمن ـ خصمه اللدود ـ وسليل خلفاء بني أمية في المشرق الدعاء له على منابر الأندلس ، ولهذا فإن قطع الدعاء له في الأندلس لم يكن مفاجأة للمنصور ولم يحدث أي ردود فعل سريعة ، إذ كان في نيته القضاء على دولة عبد الرحمن بن معاوية سواء استمر في الدعاء له أم توقف عنه . غير أن التساؤل ينبغي ألا يكون عن نية الخليفة المنصور في القضاء على دولة عبد الرحمن الداخل ؛ وإنما عن مدى قدرته واستطاعته في هذا الجانب ، وأما ما أشار إليه (سالم) من أن إجراء الداخل لم يحدث ردود فعل سريعة لدى الخليفة المنصور ففيه نظر ؛ إذ أورد صاحب كتاب (ذكر بلاد الأندلس) أن أبا جعفر المنصور كتب إلى الداخل سنة (١٤٢ هـ / ٧٥٩ م) يعاتبه على قطع الدعوة له ، ويدعوه إلى طاعته فلم يرد له جواباً [٣٩] .

لقد عكس الداخل في دعائه للعباسيين جانباً من جوانب مهارته السياسية، فقد نجح من حيث أخفق عبد الرحمن بن حبيب الفهري ، ولعله استوعب تجربة الفهري فرأى ألا يقوم بتغيير سريع لمعالم إمارته الوليدة وتوجهاتها ، وتريث إلى أن تستقر دعائمها وترسخ شرعيتها في نفوس الناس ، ومن ثم يمكن اتخاذ موقف آخر . وكذلك فعل عبد الرحمن ؛ ففي غضون عامين من توليه الإمارة أقدم على قطع الدعاء للعباسيين في منابر الأندلس [٤٠] ، واقتصر على الدعاء لنفسه تكريساً لهيمنته السياسية على البلاد ، إذ أمر " بلعن المسودة وقطع الدعاء لأبي جعفر المنصور " [٤١] ، وذلك إثر توصله إلى عقد صلح مع زعيمي الأندلس السابقين : يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، والصميل بن حاتم الكلابي [٤٢]. ومن الواضح أن الداخل ظن أن اتفاقية الصلح تؤذن بمرحلة جديدة

قد تجعله يشعر بقدر عال من الاطمئنان أملى عليه ألا يقتصر فقط على إلغاء الدعوة العباسية وإنما أمر أيضاً بلعنهم على منابر الأندلس . يعتقد كثيرٌ من الباحثين أن إجراء الداخل بالدعاء للعباسيين كان عملاً حاذقاً ، مثلما أن قطعه للدعوة العباسية بعد مدة قليلة من إعلانها كان أيضا دليل تبصر ودراية لكونه تمكن من تكوين عصبية من بني عمه ومن مواليه يستند إليها متى ادلهمّ الخطب ، فلا غرابة إذاً أن يلجأ عبد الرحمن إلى قطع الدعوة وهو مطمئن إلى نتائج القرار . وسواء أكان ذلك بإيحاء أو ضغط من ابن عمه عبد الملك بن عمر المرواني [٤٣] وجماعة من بني أمية الذين وفدوا على الأندلس لاحقاً واعترضوا على دعاء عبد الرحمن للعباسيين [٤٤] ؛ أم بدافع ذاتي من عبد الرحمن نفسه فرضته أحداث العصر ومنطق المرحلة ؛ فإن المرء ليتساءل عن السبب الذي جعل عبد الرحمن يتسرع في إنهاء الدعوة العباسية بعد فترة وجيزة من إعلانها ؟ هل كان الداخل يخشى أن ترسخ فكرة الولاء للعباسيين عند أهل الأندلس ، أم أنه أدرك عجز العباسيين عن الوصول إليه وقد استغلقت أمامهم مسالك المغرب ؟

ربما اتخذ عبد الرحمن قراره هذا لإدراكه بأن معظم رعاياه وقتئذ من غير المسلمين ، وتلك حقيقة أشار إليها الخليفة العباسي أبوجعفر المنصور ، حينما وصف الداخل بأنه : " دخل بلداً أعجمياً منفرداً بنفسه ... " [٤٥] ، ومن ثم فإنه قدّر أن ردود الفعل الداخلية على إجرائه قد تكون ضعيفة أو غائبة تماماً ، ولعله كان مدفوعاً في قراره بما أحسه من الأندلسيين الذين قدموا له الدعم ومنحوه اللجوء ، مُعبّرين بذلك عن انتمائهم السياسي للأمويين ومعارضتهم للخلافة العباسية ، هذا الانتماء هو الذي منعهم أيضاً من الاتصال بالمذهب الحنفي [٤٦]. غير أن مثل تلك الحسابات لم تكن دقيقة ، فعبد الرحمن ـ كما نعتقد ـ لم يُحسن التصرف في استعجاله بقطع الدعوة العباسية ، وذلك لأسباب منها : أن الدعاء لخلفاء بني العباس لم يكن يكلفه شيئاً ، ولم يترتب عليه دفع مبالغ مالية ولم يطالبه العباسيون بشيء من ذلك إذ لا تذكر مصادرنا شيئاً من هذا القبيل ، ثم إن هذا الإجراء زاد من معاناة عبد الرحمن في إخضاع العناصر الساخطة وفي سعيه لتثبيت أركان دولته ، حيث تجددت الثورات المتشحة بلبوس العباسيين مطالبة بعدم فصل

الأندلس عن جسم الدولة الإسلامية وشاركت فيها جميع العناصر المحلية تقريباً بل وحتى الخارجية ، بل أقرب الناس إليه من بني قومه ومن حلفائه ، لكن أخطرها على الإطلاق هي ثورة العلاء بن مغيث الجذامي في باجة غربي الأندلس سنة (١٤٧ هـ / ٧٦٤ م) والتي أوشكت أن تكتب الفصل الأخير في حياة الداخل وأن تضع حداً لطموحه السياسي .

لقد جاء عبد الرحمن إلى سدة الحكم في الأندلس مجللاً بغطاء الشرعية الأموية في السلطة ، وعبّر عن ذلك أحد الزعماء المحليين في البلاد وهو الصميل بن حاتم الكلابي بقوله : " إنه من قوم لو بال أحدهم في هذه الجزيرة لغرقنا في بوله " [٤٧] . ثم نزع عبد الرحمن نحو المواءمة بين أمويته وعباسية الخلافة الجديدة ، ففي حين يدعو للعباسيين فإنه بذلك يعزز من رصيده الشعبي في الأندلس بالدرجة الأولى ، إذ لم يكتف بكونه سليل الخلفاء الأمويين فاتحي الأندلس نفسها ؛ وإنما كان واقعياً بدرجة كافية جعلته لا يجد حرجاً في التمسح برداء العباسيين ولو لبعض الوقت . فكأنه بصنيعه هذا أضفى على وجوده قوة إضافية ، فهو الأموي الذي يدعو للخلافة العباسية ، ومن كانت هذه صفته فمن ذا ينازعه سلطانه ؟ لكن عبد الرحمن كشف الغطاء عن نفسه وأعطى لخصومه ذريعة في مناهضته ، لاسيما أصدقاء الأمس منهم وأعني القبائل اليمانية الذين حاربوا إلى جانب عبد الرحمن بصفته ممثلاً للشرعية وحين لم يجدوا عنده ما كانوا يؤمّلونه من حظوة في الإدارة والحكم أظهروا عداوته ثم استفادوا من فرصة تخليه عن الدعاء للعباسيين فانضموا إلى المطالبة بحق العباسيين في ضم الأندلس تحت راية العلاء بن مغيث . وتعد هذه هي المحاولة الثانية من جانب العباسيين لمدّ نفوذهم على الأندلس .

هناك من الباحثين من يرى أن العلاء بن مغيث الذي اختاره العباسيون هذه المرة لتنفيذ مهمتهم في الأندلس ؛ لم يكن من الزعماء المحليين في الأندلس، مستندين في ذلك إلى ما أورده كلٌ من صاحب أخبار مجموعة من أن العلاء بن مغيث الجذامي أقبل من إفريقية فدخل الأندلس ودعا بها لبني العباس

وسيطر على (باجة) و (قرمونة) [٤٨] ثم سيطر على شرق الأندلس سنة (١٤٦هـ / ٧٦٣ م) وخطب لأبي جعفر المنصور (١٣٦ ـ ١٥٨ هـ / ٧٥٤ ـ ٧٧٥ م) فأجابه كثيرون معظمهم من اليمانية ، وكذلك صاحب كتاب (ذكر بلاد الأندلس) حيث أشار إلى أن العلاء خرج من إفريقية سنة (١٤٤ هـ / ٧٦١ م) ودخل باجة ، وقد يُعزز فكرة أن العلاء طارئٌ على الأندلس ليس من أهلها ، هو أن العام (١٤٤هـ / ٧٦١ م) شهد انتصار الجيش العباسي في إفريقية بقيادة محمد بن الأشعث الخزاعي [٤٩] (اليمني الأصل) وتمكن من دخولها ، فلعل العلاء بن مغيث شارك في حملة ابن الأشعث ثم خرج منها إلى الأندلس لتنفيذ المهمة التي أسندت إليه مستغلاً سوء الأوضاع السياسية في الأندلس وقتذاك [٥٠] . إلا أنه لا يمكن التسليم بهذا الرأي لعدة اعتبارات منها ؛ أن مصادرنا [٥١] تشير إلى أن العلاء كان ذا رئاسة في باجة [٥٢] ما يعني أن جذوره ضاربة في المنطقة التي اختارها لانطلاق ثورته إذ كان يتطلع إلى تلقي الدعم من أهلها ـ وهم قومه ـ الساخطين أصلاً على الداخل بعد أن أسقط جندهم وأخمل ذكرهم [٥٣] ، علاوة على أن الأندلسيين ـ بوجه عام ـ لم يكونوا ليسلموا زمام أمورهم لوافد جديد من المشرق من أغمار الناس ، إذ كانوا حتى وقت قريب من إنشاء الإمارة الأموية يتبرمون بالموجات العربية الجديدة المهاجرة إليهم ، فيطلقون عليهم " الشاميون " تمييزاً لهم عن المستقرين الأوائل وهم " البلديون " ، ووقع بينهم الشُحّ والتنازع على اقتسام المناطق الخصيبة في البلاد [٥٤] ، رغم أن الفريقين ينتميان إلى قبائل واحدة . وأما ما ذكره صاحب أخبار مجموعة ، وكذلك صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس ، من أن العلاء قدم الأندلس من أفريقية ؛ فإنه لا يعني بالضرورة أن الرجل وافدٌ جديد على الأندلس ، فمن المحتمل أن العلاء سار بنفسه إلى بغداد والتقى الخليفة أبا جعفر المنصور ، ثم سار برفقة حملة ابن الأشعث إلى إفريقية ، ومن هناك عبر إلى الأندلس .

لقد خرج العلاء في وقتٍ ازدادت فيه الثورات ضد الداخل لا سيما ثورة هشام بن عروة الفهري في طليطلة ، فنشر الأعلام السود [٥٥] ، وأرسل إليه المنصور بولاية الأندلس وبعث إليه بسجل ولواء قائلاً : " إن كان فيك محمل

لمناهضة عبد الرحمن وإلا فأبعث إليك بمن يعينك " [٥٦] . انضم إلى العلاء عددٌ من زعماء اليمانية ؛ يتقدمهم واسط بن مغيث الطائي ، وغياث بن علقمة اللخمي الذي هبّ لنجدتهم قادماً من شذونة [٥٧] ممداً لهم لولا أن عبد الرحمن الداخل حال بينه وبينهم ، إذ بعث إليه بدراً مولاه في كتيبة من جيشه [٥٨] ، كما انضمت إلى العلاء عناصر قيسية ساخطة على عبد الرحمن ، كأمية بن عبد الملك بن قطن الفهري [٥٩]، ويظهر أن اليمانية هذه المرة كانوا مصممين على استخلاص ولاية الأندلس لهم تحت مظلة العباسيين إذ عملوا على استبعاد الزعيم المضري (أمية ابن قطن) من تنظيمهم ، فاتهموه بالعمل ضدهم وقبضوا عليه .

أدرك عبد الرحمن الداخل خطورة الوضع في غربي الأندلس حين ظهر العلاء ورأى أن يسير إليه بنفسه تاركاً خلف ظهره ثورات مشتعلة في مناطق عدة، أهمها ثورة الفهري التي أعرض عنها عبد الرحمن إلى حين الفراغ من مناجزة العلاء. ويشير بعض الدارسين إلى أن ثورة هشام الفهري في طليطلة [٦٠] كانت تحت مظلة الدعوة العباسية ، وأن الثائر أراد مشاغلة عبد الرحمن عن ثورة العلاء[٦١] ، ولم يذكر مصدراً لمعلوماته تلك ، اللهم إلا أن يكون استنتجها من تطورات الحوادث وتزامن الثورتين في وقت عصيب بالنسبة إلى الداخل . وفي مثل ذلك فإن المشهد لا يسمح بتكوين مثل هذه القناعة ، فالفهري مضري والعلاء يمني ، وبين القبيلين العربيين من الإحن والنزاعات في الأندلس ما يستعصي على الجمع بينهما في صعيد واحد وتحت مظلة واحدة . هب أن أحدهما حقق الظفر ونال مقاليد الأمور في البلاد ، فلمن تكون الإمارة ؟

وأياً ما كان فقد أقبل عبد الرحمن بجيشه متوجهاً إلى قرمونة وعسكر بقلعة زغْواق ، لكن العلاء حين سمع بمجيء عبد الرحمن سار إليه في قرمونة وحاصره بها مدة شهرين تقريباً حتى ساءت حال عبد الرحمن ونفدت مؤونته ، لكن حال العلاء هو بدوره لم تكن جيدة حيث تفرق عنه معظم أصحابه بعد أن طال بهم المُقام . وتبيّن لعبد الرحمن اضطراب معسكر العلاء ووقوع الخلل فيه ، ولعل المكاتبات جرت بين عبد الرحمن وبين عناصر من جيش العلاء بحيث

تمكن من استمالتهم إلى جانبه . لذا قرر عبد الرحمن الخروج من القلعة التي حوصر بها ، وأقدم على ما يشبه العمل الانتحاري إذ خرج في سبعمائة من فرسانه وأمر بنارٍ فأوقدت عند باب إشبيلية [٦٢] ـ من أبواب قرمونة ـ ثم أمر بأجفان سيوفهم فطرحت بالنار فأخذ كل واحد منهم نصل سيفه بيده وخرج وخرجوا ، فدارت الحرب بينهم ، حتى انتزع الداخل النصر وتمزق جيش العلاء بين هاربٍ وقتيل ، وكان العلاء نفسه في مقدمة القتلى ، حيث احتز رأسه وحُشي بالملح والكافور وجعل معه السجل في سفط ، وبعثه مع رجل من أهل قرطبة في جملة الحاج وأمره أن يضع السفط بمكة ، إذ كان المنصور حاجاً تلك السنة ، فوضعه في باب سرادق فلما وصل إلى المنصور نظر إليه وقال عرضناه المسكين للقتل ، وقال : " الحمد لله الذي جعل بيننا وبين مثل هذا من عدونا بحراً " [٦٣] . لقد كان هذا النجاح الذي حققه الداخل في القضاء على ثورة العلاء كفيلاً بصرف نظر الخليفة المنصور عن تدبير حركات مماثلة في الأندلس طوال فترة خلافته [٦٤].

تعد ثورة العلاء بمثابة المواجهة الأولى للداخل مع الخلافة العباسية ، وقد أثبت صلابة عوده في سحق الثورة وإخماد مثل تلك الدعوات ، فلم يجرؤ أحدٌ من الأندلسيين على إظهار الدعاء للخلافة العباسية طوال فترة حكم عبد الرحمن ، ويبدو أن العباسيين عقب فشل ثورة العلاء بن مغيث ، قد تخلوا عن مشروعهم في ضم الأندلس بواسطة تحريك العناصر المعارضة ، فلم يفكروا بدعم ثائر أو تحريض ساخط لتحقيق غايتهم ؛ لكنهم لم يصرفوا نظرهم نهائياً عن التفكير في بسط هيمنتهم على الأندلس دون مؤونة أو إمداد عسكري . صحيحٌ أن الأندلس في عهد عبد الرحمن الداخل قد شهدت قيام ثائر آخر بالدعاء للعباسيين ، وذلك في شرق الأندلس سنة (١٦١ هـ / ٧٧٧ م ـ وقيل سنة ١٦٣هـ / ٧٧٩) ـ [٦٥] على يد عبد الرحمن بن حبيب الفهري المعروف بـ" الصقلبي " [٦٦] ، لكن تلك الدعوة لم تظهر على يد رجلٍ أندلسي ، فابن حبيب الفهري قدم من إفريقية باحثاً عن مجد سياسي مفقود إذ تعذر عليه استعادة حكم آبائه من آل الفهري في إفريقية ؛ فقرر العمل في مكان آخر من الغرب الإسلامي وبطريقة

تحاكي الطريقة التي اتبعها جده عبد الرحمن بن حبيب الفهري الذي عبر من الأندلس إلى إفريقية سنة (١٢٧ هـ / ٧٤٤ م) وأظهر الخلاف على واليها وقتئذ حنظلة بن صفوان الكلبي [٦٧] مستخدماً وسائل غير شريفة ، فعمل عبد الرحمن الحفيد على محاكاة حركة الجدّ بذات الوسائل تقريباً ؛ حيث عبر البحر من إفريقية إلى الأندلس في قوة كبيرة ونزل بساحل تدمير سنة (١٦١ هـ / ٧٧٧ م) في مرسية في شرق الأندلس وزعم أنه جاء داعياً للخليفة العباسي المهدي (١٥٨ - ١٦٩ هـ / ٧٧٥ - ٧٨٥ م)[٦٨]، وسعى إلى التنسيق والتفاهم مع الزعيم اليمني المتمرد في سرقسطة [٦٩] سليمان بن يقظان الكلبي . ولمّا كان الأخير قد عقد تحالفاً مع الفرنجة ثمنه تسليمهم بعض القواعد الأمامية في الأندلس مقابل دعمه في ثورته ضد عبد الرحمن الداخل ، وذلك في وقت عبور الصقلبي الفهري إلى الأندلس ؛ فإن بعض الباحثين توسعوا في تقدير حركة الصقلبي ودعوته العباسية في الأندلس ، ورأوا أنها ثمرة تحالف كبير ضم أطرافاً دولية ؛ هي الخلافة العباسية والدولة الكارولنجية ، وتعززت قناعتهم تلك بما وجدوه من سفارات ومكاتبات وهدايا متبادلة بين كل من الخليفة أبي جعفر المنصور وبيبين Pipin ملك الفرنجة ، والخليفة هارون الرشيد وشارلمان Charlman [٧٠]، أملاها عداؤهما المشترك لكل من البيزنطيين وأمويي الأندلس [٧١] ، لكن أولئك النفر من الباحثين لم يتمكنوا من الحديث عن طبيعة الاتفاق الذي أبرمه العباسيون مع الفرنجة ودور الفهري الصقلبي في الموضوع ، واعترف بعضهم أنه لا توجد وثائق بهذا الخصوص [٧٢] ، ولتعويض النقص المعرفي لديهم في هذه المسألة ؛ فقد لجأوا إلى الافتراض بأن الاتفاق يقوم على أساس إنزال بحري على الساحل الشرقي للأندلس حيث يبدأ الفهري هجومه في هذه الجهات في الوقت الذي يتخلى فيه سليمان بن يقظان الأعرابي عن مدينة سرقسطة لشارلمان فتكون قاعدة لانطلاق الجيوش الفرنجية لتدمير عبد الرحمن الداخل، ثم يجري إعلان تبعية الأندلس لصاحبها الشرعي الخليفة العباسي [٧٣] ! بل ومضى باحثون إلى القول بأن الفهري الصقلبي أظهر الدعوة العباسية في الأندلس بتكليف من الخليفة

العباسي المهدي (١٥٨ ـ ١٦٩ هـ / ٧٧٥ ـ ٧٨٥ م) [٧٤]. ومدّ آخرون [٧٥] حدود التحالف ليشمل الرُماحس بن عبد العزيز الكناني [٧٦] الثائر في منطقة الجزيرة الخضراء ضد عبد الرحمن الداخل سنة (١٦٤ هـ / ٧٨٠ م) ، مقتصرين في هذا الاستنتاج على تزامن تلك الحركات المسلحة ضد حكم الداخل ، وأن الرُماحس لحق ببغداد عقب فشل ثورته التي لم تستمر لأكثر من عشرة أيام [٧٧] ، ولكن دون الإشارة إلى نصٍ صريح يفيد بوجود مكاتبات أو أية شكل من أشكال التفاهم بين الرُماحس الكناني والأطراف الأخرى المشار إليها .

وهنا لا بد من إثارة بعض الأسئلة المتعلقة بهذا التحالف المزعوم ؛ إذ ما الذي سيستفيده الفرنجة من المشاركة في القضاء على كيان إسلامي واستبداله بكيان إسلامي آخر ؟ بل إن ذلك سيكون وبالاً عليهم في المستقبل المنظور لأنهم قضوا على إمارة إسلامية منفصلة عن جسم الخلافة الشرعية واستبدلوها بمدّ سلطان الخلافة نفسها إلى حدودهم ، وكأنهم بذلك يدعمون وحدة العالم الإسلامي ولا يشجعون على قيام الحركات الانفصالية فيها ، وقد أثبتت حوادث التاريخ الأندلسي بالذات أن تشجيع الحركات الانفصالية من أهم الوسائل التي تذرع بها الفرنجة وأسبانيا النصرانية لمحاربة المسلمين في الأندلس . ثم كيف تثق الخلافة العباسية برجلٍ مثل عبد الرحمن بن حبيب الفهري الصقلبي وجدّه هو من أعلن الانفصال عن الخلافة العباسية وأسقط الدعاء للخليفة المنصور من على منابر إفريقية بعد أن اطمأن إلى عدم قدرة العباسيين على مهاجمته . وأعظم من ذلك أن الفهري الصقلبي نفسه قد أخرجته جيوش العباسيين من إفريقية ، إذ كان الرجل حليفاً للإباضية ، وعقب هزيمتهم على يد جند الخلافة العباسية لجأ إلى قلعة جيجل [٧٨] في جبال كتامة وقد تعقبه والي إفريقية يزيد بن حاتم [٧٩] فأرسل قريبه العلاء بن سعيد المهلبي [٨٠] والمخارق بن غفار الطائي [٨١] فضربوا حصاراً على القلعة استمر ثمانية أشهر إلى أن سقطت وقتل معظم من بقي مع عبد الرحمن بن حبيب [٨٢]، فعبر إلى الأندلس مكرهاً بعد أن اضطر إلى الخروج من بلده ، ولجأ إلى تغيير خططه السياسية فزعم أنه داعية للخليفة العباسي المهدي[٨٣] ، فنزل الساحل الأندلسي عند تدمير قبل الجهر بثورته بحوالي سنتين

ثم أظهر الدعوة العباسية ودعا الناس إليه فأيّده عددٌ منهم ، معظمهم من البربر [٨٤]. وأخيراً فإن بعض الباحثين ممن يعتقدون بوجود مثل هذا التحالف بين العباسيين والفرنجة قد عاد في موضع من كتابه لينقض ما عقده في موضع آخر ، حيث رجّح أن التحالف بين الفهري الصقلبي وبين سليمان بن يقظان الكلبي إنما تمّ بعد عبور الفرنج إلى أسبانيا وموقعة باب شيزروا Portus Sizarae سنة (١٦١ هـ / ٧٧٨ م) [٨٥] ، ومعنى هذا أن ثورة الفهري الصقلبي ليست نتاجاً لاتفاق معقود بين العباسيين والفرنجة ، لأن الفرنجة تحركوا قبل ظهور الفهري على مسرح الأحداث في الأندلس ، ولعل ابن يقظان الكلبي التمس التحالف مع الفهري بعد أن نفض يده من الفرنجة ، لكنهما اختلفا واقتتلا إذ يبدو أن الفهري الصقلبي دعا ابن يقظان إلى الانضواء تحت لوائه لا إلى التحالف معه [٨٦]، وذلك في محاولة منه لاستكمال السيطرة على شرق الأندلس ، فامتنع ابن يقظان فسار إليه الفهري واقتتل الفريقان بالقرب من برشلونة [٨٧] تلقى على إثرها الصقلبي هزيمة موجعة [٨٨]، فكانت بداية متعثرة لا تبشر بالخير لمستقبل الصقلبي الفهري السياسي، وقد عمل الداخل على الاستفادة من هزيمة الصقلبي الفهري فسار إليه مباشرة بنفسه وبدأ أولاً بإحراق سفنه الراسية بالساحل حتى لا يجد سبيلاً إلى الفرار فارتد الصقلبي بفلوله إلى جبال بلنسية واستعصم بها ، فدسّ عبد الرحمن على الصقلبي بعض أصدقائه من البربر ويدعى " مشكار " [٨٩] ، فاغتاله وحمل رأسه إليه وانهارت بذلك دعوته وثورته سنة (١٦٢ و ١٦٣ هـ / ٧٧٨ و٧٧٩ م) [٩٠] .

وإذا كان الداخل قد تمكن من لجم الأندلسيين عن التفكير بالدعاء لبني العباس في بلادهم عقب قضائه على ثورة العلاء بن مغيث ؛ فإنه بنجاحه في التعامل مع حركة الفهري الصقلبي قد سدّ أبواب الأندلس أمام كل مغامر قد يحمله خياله السياسي إلى التدثر بشعار المسوّدة والتكسب السياسي بها في أرجاء الأندلس ، فلم نقرأ عن دعوة عباسية بعد ذلك طوال فترة حكم الداخل وحكم ابنه وحفيده أي حتى منتصف القرن الثالث الهجري تقريباً ؛ بل إن الداخل نفسه قد أظهر للناس سنة (١٦٣هـ / ٧٧٩ م) عقب إخماد حركة الفهري الصقلبي أنه

ينوي الخروج إلى المشرق واسترداد بلاد الشام ومنازلة العباسيين في أرضهم[٩١] ، لكن اشتعال الثورات في بلاده قد منعته من تحقيق تلك الغاية ، ومن الواضح أن هذا المشروع أكبر من إمكانيات الإمارة الأموية الناشئة ، والداخل نفسه يدرك ذلك جيداً ، غير أنه قصد ـ على ما يبدو ـ توجيه رسالة إلى الرأي العام قبل خلفاء بغداد بأنه صاحب حق شرعي في الخلافة ، اغتصبه الخلفاء العباسيون من أسلافه الأمويين في الشام ، فلا معنى إذاً لحركات مسلحة ـ أياً كان مدبّروها وبواعثهم ـ تدعو إلى المظلة الشرعية العباسية . فهي رسالة تشبه تلك التي وجهها الداخل إلى المنصور وهو بمكة عقب قضائه على ثورة العلاء !

واللافت للنظر ، أن التفكير في مهاجمة العباسيين ظل صداه يتجاوب في قصور أمويي الأندلس مدةً من الزمن ؛ فقد أشار (ابن حيان) [٩٢] إلى قصيدة أنشدها أحد الشعراء الوافدين من الشام وهو (إبراهيم بن سليمان الشامي مولى بني أمية) على مسامع الأمير عبد الرحمن (الأوسط) بن الحكم (٢٠٦ ـ ٢٣٨ هـ / ٨٢١- ٨٥٢ م) ، وقد حضّ فيها الأمير الأموي على غزو بني هاشم المخرجين لهم عن الشرق ـ أي العباسيين ـ ، وأغراه بطلب الثأر منهم ، وذكّره بقتلى بني أمية بقصيدة أولها :

عَجَباً لنومك عن طِلابِ الثار أم هل نسيت مصارعَ الأبرار

وفيها يقول :

واعلم بأنك لو بدَت لك رايةٌ دَلفت إليك قبائل الأمصار

أغلظ فيها للهاشميين فاطّرحها الناس [٩٣] ، وفي ذلك ما يشي بأن ما أوردته المصادر من أن عبد الرحمن الداخل أمر " بلعن المسودة " حين قطع الخطبة والدعاء لهم من منابر الأندلس ؛ إما أنه لم يكن صحيحاً بحيث اكتفى الداخل بإلغاء الدعوة فحسب ، وإما أنه اقتصر فقط على مرحلة تأسيس الإمارة الأموية أو على فترة حكم الداخل ليس أكثر ، ويعزز ذلك أن الأندلس استقبلت في فترات من عصرها الأموي عدداً من الوافدين إليها من الأسرة العباسية [٩٤] .

وتتكرر صدى فكرة مهاجمة العباسيين زمن الناصر لدين الله عبد الرحمن ابن محمد (٣٠٠ ـ ٣٥٠ هـ / ٩١٢ ـ ٩٦١ م) ، حينما أعلن عن نيّته في المسير إلى المشرق وتخليص الأماكن المقدسة من أيدي العباسيين الذين عجزوا عن تأمين حماية الحاج حين هاجمهم القرامطة سنة (٣١٧ هـ / ٩٢٩ م) ، وقد شرع في الإعداد لهذا المشروع ، وأعلن التعبئة العامة بين صفوف قواته في الأندلس وقوات حلفائه بالمغرب ، وأمر بالاستعداد " لميقات معلوم ووقت محدد " والاستكثار من الأسلحة والمراكب ، بل وحدد مرافئ العبور من الأندلس والمغرب ، وهي سبتة [٩٥] ووهران [٩٦]. لقد كان الأمر برمته مجرد مناورة عسكرية هدفها استعراض القوة أمام الفاطميين بالمغرب ، والتشهير بالعباسيين لعجزهم عن حماية الأماكن المقدسة ، وإلا فمثل هذا المشروع يتطلب إمكانيات ضخمة [٩٧] .

ثم تتجدد الفكرة ذاتها مع المنصور بن أبي عامر (٣٦٧ ـ ٣٩٢ هـ / ٩٧٧ ـ ١٠٠١ م) الذي تمثل بأبيات من الشعر قال فيها [٩٨] :

منع العين أن تذوق المنـــاما حبها أن ترى الصفا والمقاما

لي ديون بالشرق عند أنـــاس قد أحلوا بالمشعرين الحراما

إن قضوها نالوا الأماني وإلا جعلـــوا دونهـــا رقـاباً وهـاما

عن قريب ترى خيول هشام يبلغ النيل خطـــوها والشـــاما

ومع نجاحات عبد الرحمن الداخل المتكررة في القضاء على محاولات الدعاء للعباسيين ؛ إلا أنه كان متزناً في تقدير انتصاراته فلم يذهب إلى الاتشاح برداء الخلافة ومنازعة خلفاء بغداد إمرة المؤمنين ، إذ كان يعلم أن الناس في عصره لا يرون استحقاق لقب الخلافة إلا لمن كان مالكاً للحرمين الشريفين [٩٩] ، ثم إنه رأى عدم التورط في رسوم لم يحن الوقت لاتخاذها ، والدخول بذلك مع الخلافة العباسية القوية في منافسة لا تؤمن عواقبها [١٠٠]. إنما اقتصر عبد الرحمن

على اتخاذ ألقاب " الأمير " أو " الإمام " أو " ابن الخلائف " [١٠١] لا يزيد عليها ، واتخاذ اللقب الأخير " ابن الخلائف " فيه قدرٌ من الذكاء السياسي ، فهو وإن كان يشير في ظاهره إلى أن حامله عازفٌ عن التسمي بألقاب الخلافة اقتناعاً منه بعدم جواز تعدد الخلفاء عند المسلمين ؛ إلا أن مضمونه يشي بما لأسرته من حق شرعي في الخلافة ينبغي التذكير به باستمرار ، فلعل الحاجة تدعو إليه يوماً ما بصورة أكبر . ظل الداخل مستمسكاً بلقبي : " الأمير " و " ابن الخلائف " طوال فترة حكمه ، وأورثهما من جاء بعده من الأمراء الأمويين كمظهر من مظاهر عدم الاعتداء على رموز الشرعية السياسية في العالم الإسلامي . بل إن بعض الدارسين ليذكر أن عبد الرحمن بن معاوية حال مجيئه الأندلس ظل يعمل باستخدام العملات المشرقية ومكتوبٌ فيها أسماء الخلفاء العباسيين [١٠٢] .

ورغم الجهود المضنية التي أنفقها الداخل في تكريس استقلاله عن العباسيين ؛ إلا أن ظل الخلافة يلوح في أفق الأندلس كلما دبّت الفتن والصراعات الداخلية على الرياسة والسلطان ؛ فبعد وفاة الداخل واعتلاء ابنه هشام المعروف بـ" الرضا " كرسي الإمارة (١٧٢ ـ ١٨٠ هـ / ٧٨٨ ـ ٧٩٦ م) ، وما أعقب ذلك من صراعات على السلطة بينه وبين أخويه سليمان وعبد الله ؛ نجد الأخير من إخوته يجوس خلال أرض المغرب باحثاً عن دعم سياسي يتقوى به ضد أخيه ، ولم يتورع في سبيل تحقيق غايته عن الاتصال بممثلي الخلافة العباسية في المنطقة ـ أعني الأغالبة ـ وزيارتهم في القيروان ثم عودته بعد ذلك إلى الأندلس مجدداً العصيان ولكن هذه المرة ضد ابن أخيه الأمير الجديد للبلاد (الحكم بن هشام ١٨٢- ٢٠٦ هـ / ٧٩٨- ٨٢١ م) [١٠٣] ، فهل كان عبد الله قد اتفق بصورة سرية مع الأغالبة على نُصرته مقابل الانضواء تحت المظلة العباسية ، لا سيما وقد اتخذ من شرقي الأندلس وبلنسية على وجه الخصوص مستقراً له وقاعدة لنشاطاته لسهولة اتصالها بحراً بإفريقية ؟

أشرنا فيما سبق إلى اختفاء الدعوة العباسية في الأندلس حتى منتصف القرن الثالث الهجري تقريباً / التاسع الميلادي ، وذلك عقب القضاء على حركة الفهري الصقلبي ، ولا شك أن ذلك يدل على يقظة أمويي الأندلس وعزيمتهم ،

إلى درجة أن الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ ـ ٢٧٣ هـ / ٨٥٢ ـ ٨٨٦ م) كان يستقصي أخبار العباسيين ، ويبعث بكتبه ورسائله إلى زعماء البربر وأمراء المغرب باحثاً عن أخبار العباسيين في بغداد ، وأخبار ولاتهم وعمالهم بالشام ومصر وإفريقية [١٠٤]، حتى إنه جرت بينه وبين إبراهيم بن الأغلب مكاتبات ودية وهدايا متبادلة [١٠٥] ؛ ومع ذلك فقد كان الأمير محمد يحاذر من الاقتراب من رسوم الخلافة وألقاب الخلفاء ، وكأنه بذلك يعترف ضمناً برمزية الخلافة العباسية في العالم الإسلامي كافة ، وقد أدرك معاصروه هذا التوجه ، فكان مادحوه من الشعراء يقتصرون على مناداته ـ مثلاً ـ بقولهم [١٠٦] :

بيُمن أمير المسلمين محمدٍ *** تجلت عن الأوقات كل صلاة

إذ يلاحظ أنه تجنب استعمال لقب " أمير المؤمنين " وهو لقب خليفي يُنادى به خلفاء بغداد العباسيين .

إن اختفاء الدعوة العباسية يدل أيضاً على انكفاء الخلافة العباسية على نفسها وقناعتها بعدم جدوى إنفاق الجهود السياسية والعسكرية في المغرب الإسلامي ، وتجلى هذا في انسحابها الجزئي من إفريقية والاقتصار على دعم الأغالبة في حكمها منذ أواخر القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، وجاء تفكك أطراف الخلافة الشرقية والغربية تحت مسمى " الدويلات المنفصلة " من منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ليضيف بُعداً آخر لانكفاء الخلافة على نفسها ، فتضاءل نفوذ الخلفاء وتنامت سطوة وزرائهم وقادتهم العسكريين ، وحين فقد العباسيون دورهم السياسي عملوا على تعزيز رمزيتهم الدينية في نفوس المسلمين ، فصار الانضواء تحت مظلة الخلافة العباسية لا سلطان العباسيين السياسي ، دليلاً على لزوم الجماعة ومظهراً من مظاهر الشرعية للأمراء المتغلبين في نواحيهم ، وقنع الخلفاء العباسيون المتأخرون بمثل هذه الطاعة الشكلية ولم يطمعوا فيما وراءها ، حتى لكأن الخلافة العباسية في أطوار انكسارها هي من يبحث عن شرعية بقائها من خلال حرصها على انضواء المتغلبين تحت جناحها ، لا أن تمنح الشرعية لمن يحتاجها منهم .

من هنا يمكن قراءة التحول في مغزى الدعاء للعباسيين في الأندلس منذ أواخر القرن الثالث الهجري فما بعده ، إذ لم يعد يعني مدّ النفوذ والهيمنة السياسية للعباسيين ، وإنما أصبح معناه إضفاء الشرعية في الحكم لمن يطلبها من السلاطين والأمراء بل وحتى المتمردين من زعماء الحركات المسلحة .

ـ انظر : الشكل (١) ـ .

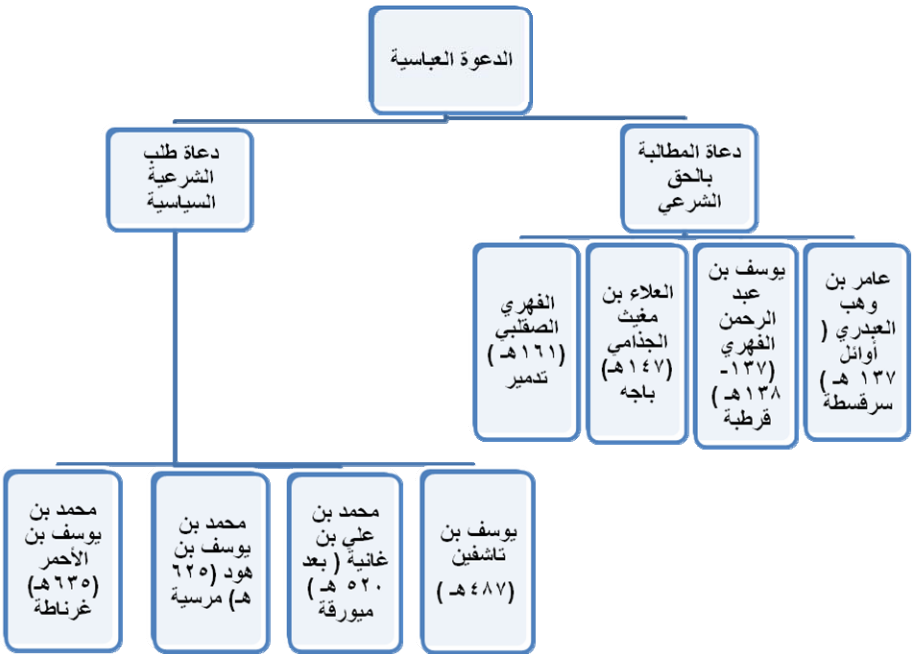

ـ الشكل (١) ـ .

ففي الأندلس لجأ عمر بن حفصون [١٠٧] زعيم حركة التمرد في جنوب الأندلس إلى التمترس خلف الدعوة العباسية فكتب إلى الأغالبة في إفريقية يطلب منهم المدد ، لكنهم لم يتجاوبوا مع دعوته بسبب المشاكل الداخلية التي كانت

تجوزها بلادهم وقتئذ ، وقد ذهب باحثٌ إلى القول بأن ابن حفصون ربما كان يسعى إلى ضم الأندلس إلى الدولة العباسية [١٠٨] ، وما ذلك بصحيح ـ على ما يبدو ـ فابن حفصون لم يكن معادياً للأمويين وحدهم ، وإنما يصرّح بكراهيته للعنصر العربي عامة ، وغاية ما كان يؤمله ابن حفصون من وراء دعوته للعباسيين هو الحصول على دعم سياسي ومادي من ممثليهم في إفريقية ـ أي الأغالبة ـ ، وهو بعد إجراء مرحلي سرعان ما استبدله ابن حفصون بإجراءات أخرى بحثاً عن مكاسب لثورته ، إذ لم يكتف بنفض يديه من العروبة ، وإنما انسلخ من الإسلام وتحول إلى النصرانية سنة (٢٨٦ هـ / ٨٩٩ م) متطلعاً إلى دعم منتظر من إسبانيا النصرانية [١٠٩] ، حين لم يتجاوب العباسيون والأغالبة معه بشكل ملموس .

وثمة تساؤل يرد هنا عن سبب فتور العباسيين وممثليهم في إفريقية مع مطالب ابن حفصون رغم حرصهم التقليدي على تشجيع مثل تلك الحركات التي تظهر ولاءها للخلافة العباسية ؟ من الواضح أن الظروف الداخلية للأغالبة في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي كانت مضطربة جداً ، إلى درجة أن الدولة نفسها اختفت تماماً مع نهاية القرن الثالث الهجري تحت ضربات أبي عبد الله الشيعي [١١٠] داعية الفاطميين ، غير أن ابن حفصون وجماعته لم يكن ليطلب مدداً ومعونة فحسب ؛ وإنما كان يتطلع إلى دعم سياسي يتمثل في إرسال الخلع السوداء من بغداد كإعتراف رسمي من الخلافة بحركة ابن حفصون، وهو أمرٌ لا يكلف شيئاً بالنسبة للعباسيين ، ومع هذا لم تقم الخلافة بمثل هذا الإجراء . ولعل تفسير ذلك يكمن في عدم ثقة العباسيين بشخصية ابن حفصون وتحرُّجِهم أمام جماهير المسلمين من التورط في دعم ثائر ضد حكومة إسلامية ويجاهر بالعداوة للعرب أجمعين .

لقد كان الاحتماء بالمظلة العباسية هدفاً يسعى إليه الزعماء والثائرون لدعم تحركاتهم ؛ لكنها تحولت أيضاً إلى هدف يتطلع إليه المجتمع كلما اهتزت السلطة المركزية وهبت ريح الفتنة في أرجاء البلاد ، لا سيما في مجتمع كالمجتمع الأندلسي الذي يموج بعناصر عرقية متنوعة ، وتكتنفه الأخطار

الخارجية في كل آن . لذا فإن التفكير بالدعاء للعباسيين ظهر مجدداً في الأندلس أواخر القرن الثالث الهجري أي في عصر الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥ ـ ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ ـ ٩١٢ م) حيث انكمشت سُلطة الأمويين بعد انتقاض مناطق عدة في وجه حكومة قرطبة ، ولم يبق بيد أمويي الأندلس سوى قرطبة وأحوازها ، فانقطعت موارد الجباية عنها ، وتخلى رجال الدولة ومواليها عنها ، وهذا ما دفع بالأمير عبد الله بن محمد إلى فرض مبالغ مالية على الناس لتمويل حملاته العسكرية المحاربة للثوار والمنتزين . حينئذ اعتزم وجهاء المجتمع وأعيانه في قرطبة على الدعاء على منابرهم للخليفة العباسي المعتضد بالله (٢٧٩ ـ ٢٨٩ هـ / ٨٩٢ ـ ٩٠١ م) [١١١] . ولئن كانت المصادر التي بين أيدينا لا تذكر هذه الحادثة إلا اقتضاباً ، مثلما أنها لا تبيّن الطريقة التي تنادى بها أعيان المجتمع لإعلان الدعاء للعباسيين على منابر قرطبة ولا الإجراءات التي كانوا يزمعون القيام بها ، كما أنها لا تذكر موقف الأمويين من الفكرة ؛ ومع ذلك فإنه بوسعنا القول أن المجتمع الأندلسي يملك مبادرات من هذا النوع عند الاقتضاء ، فلا غرابة أن يصدر عنه مثل ذلك ، ولنا في قيام مجتمع قرطبة ـ فيما بعد ـ بإلغاء الدولة الأموية سنة (٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م) بعد أن اقتتل الأمويون على السُلطة ، وتشكيل حكومة جماعة بزعامة أبي الحزم جهور بن محمد خير مثال على ما نقول . كما أنه يمكننا القول أيضاً أن التفكير بالدعاء للعباسيين في تلك الفترة المضطربة من تاريخ الإمارة الأموية بالأندلس ربما كان بإيحاءٍ من الأمير الأموي نفسه بحيث يقدم نفسه والياً على البلاد تحت المظلة العباسية ، كآخر سلاح يُشهره في وجه خصومه المتكالبين على إمارته بعد أن عجز عن مقارعتهم .

يلاحظ مما تقدم أن الدعوة العباسية هذه المرة لم يرفع لواءها ثائرون وإنما تنادى إليها المستمسكون بحبل الجماعة حينما توجسوا من انفراط عقد الأندلس ، كما أن الخلافة العباسية لم تطلبها أو تسعى إليها بأي وجه من الوجوه، ومع ذلك فإن مما ينبغي الإشارة إليه هو أن شخصية الخليفة العباسي المعتضد القوية وما اتخذه من تدابير لاستعادة هيبة الخلافة العباسية قد جعلت الأعناق

تشرأب إليه ، ولعل الأندلسيين الذين بلغتهم هذه الأخبار قد توسموا في الخلافة العباسية تحت قيادة المعتضد ما يرفع كاهل الفتن عن بلادهم ، ولذا هفت نفوسهم إلى الخلافة العباسية في هذا الوقت بالذات رغم أن الثورات حلّت بساحتهم منذ أواخر عصر الأمير محمد [١١٢].

لكن المفارقة في تاريخ الأندلس فيما بين أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع الهجري / التاسع والعاشر الميلادي ؛ هو تحول مزاجها السياسي من التفكير في الدعاء للعباسيين إلى الاجتراء على رسوم الخلافة ، وما بين الاتجاهين مرّت الأندلس بخطوب وتحولات حادة ، ففي وقتٍ كان فيه أمويو الأندلس يقاتلون للاستمساك بآخر معاقلهم في قرطبة ؛ إذا بهم ينتفضون من رماد الفتن والثورات الداخلية مطلع القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، فتهبّ ريح دولتهم مجدداً على البلاد على يدي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، وينجح الأمير الشاب في استنزال الثوار من معاقلهم وفي إعادة وحدة الأندلس تحت راية الأمويين ، غير أن بلاده لم تكد تنهض من كبوتها الداخلية حتى وجدت نفسها أمام خطر خارجي يتهددها من المغرب حيث أقام الفاطميون دولتهم وبسطوا هيمنتهم على العدوة المغربية ، وبدأوا يتطلعون إلى الأندلس لتحقيق سيطرتهم الكاملة على الغرب الإسلامي بأكمله معلنين أنهم هم الخلفاء الشرعيون للعالم الإسلامي . عندئذ ؛ كان لزاماً على عبد الرحمن بن محمد التصدي للخطر الجديد ، ليستكمل نجاحاته التي حققها بإخماد الفتن والثورات الداخلية ، فلم يدع وسيلة عسكرية أو سياسية إلا وتذرع بها لمقاومة الفاطميين ، وحين وجد في لبوس الخلافة ما يعزز توجهاته تلك ؛ لم يتردد في التلبس برداء الخلافة وإعلان نفسه خليفة واتخاذ لقباً خليفياً " الناصر لدين الله " وذلك في مستهل ذي الحجة سنة (٣١٦ هـ / ٩٢٨ م) ، مدفوعاً في ذلك بمعطيات عدة ، منها : ضعف خلفاء بغداد بالعراق ، وما انتهى إلى مسامعه من أن الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٥ ـ ٣٢٠ هـ / ٩٠٨ / ٩٣٢ م) ولي الخلافة وهو دون الحلم [١١٣] ، فضلاً عن إقدام الفاطميين على التسمي بلقب الخلافة ، وكون أمويي الأندلس أحق من كل من العباسيين والفاطميين بلقب الخلافة لأنهم أحفاد خلفاء بني أمية بالشام ،

ونصّ الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد صراحةً على ذلك في المرسوم الذي أصدره بهذه المناسبة ، إذ جاء فيه : " ... وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين ، وخروج الكتب عنا وورودها علينا بذلك ، إذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له ، ودخيل فيه ، ومتسم بما لا يستحقه منه ، وعلمنا أن التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعناه ، واسم ثابت أسقطناه .... " [١١٤] . ويضاف إلى ذلك نجاح الناصر في قمع حركات التمرد والعصيان في البلاد ، ثم إن الأندلس على أيام الأمير عبد الرحمن بن محمد كانت في طريقها لأن تصبح مجتمعاً بأغلبية مسلمة [١١٥] ، يعزز ذلك تبلور طبقة المولدين من أهالي البلاد الأصليين كشريحة إسلامية مهمة في المجتمع الأندلسي ، إضافة إلى كثرة أعمال التوسعات في الجوامع ما يعكس نمواً في عدد السكان وكثرة في أعداد المسلمين.

لقد كان تغييراً نوعياً في الرأي العام الإسلامي حول من يستحق لقب الخلافة في العالم الإسلامي ، وهي مسألة ظهرت إثر انقسام الدولة الإسلامية ، وعالجها علماء الإسلام بخلع الشرعية السياسية على من يسيطر على الحرمين الشريفين [١١٦]. واستقر هذا المعنى في نفوس الناس مدة من الزمن ، إذ لم يفكر الأمويون السابقون بمنع الوعاظ والخطباء من الدعاء على المنابر للحكام العباسيين باعتبارهم الخلفاء الشرعيين الوحيدين في العالم الإسلامي [١١٧]. لكن المعطيات السياسية الجديدة في القرن الرابع الهجري وما بعده ، أوجدت رأياً آخر صاغه فريقٌ من الفقهاء فيما يتعلق بتعدد منصب الخلافة ، فذهبوا إلى أن كل إمام ينفذ حكمه في أهل ولايته كما ينفذ حكم الإمام الواحد [١١٨]، فأجازوا تعدد الإمامة إذا تعذرت وحدتها " فلو بعد موضع الإمام حتى لا ينفذ حكمه في بعض الأقطار البعيدة جاز نصب غيره في ذلك القطر " [١١٩] .

ويظهر أن تحول الأندلس إلى خلافة إسلامية تحت ظل الأمويين قد صرف الناس عن التفكير في الخلافة العباسية حين تسوء أوضاع بلادهم ، ففي عصر الطوائف ـ مثلاً ـ وعقب انهيار الدولة الأموية في الأندلس ، لم يتجه أحدٌ من أمراء الطوائف أو فقهاء العصر أو أعيان المجتمع إلى لمّ الشمل تحت ظل

الخلافة العباسية رغم ظهور مبادرات و دعوات تهدف إلى نبذ الخلاف وتوحيد الجهود ، كمبادرة أبي الوليد الباجي (ت ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م) [١٢٠] حين مشى بين أمراء الطوائف في الأندلس لإصلاح ذات بينهم ولمّ جهودهم [١٢١] ، وكدعوة الفقيه أبي حفص عمر بن الحسن الهوزني للمعتضد بن عباد في إشبيلية لا سيما بعد اجتياح النصارى لمدينة بربشتر ، حيث حرض المعتضد بمكاتبات دينية وعظية ومقطوعات أدبية ، حملت إشارات ضمنية إلى ابتعاد المعتضد عن التعاليم الدينية [١٢٢] ، فكان جزاؤه القتل على يد المعتضد نفسه عام (٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م)، وعلّق ابن بشكوال على هذا المصير البشع قائلاً : " والله المطالب بدمه لا إله إلا هو " [١٢٣] . حتى ابن حزم الذي وقف بصلابة ضد الأوضاع السياسية في بلاده ودافع عن وحدة الخلافة [١٢٤] ، فإنه لم يتضح ما إذا كان ابن حزم يعني الدعوة إلى الانضواء تحت ظل الخلافة العباسية ـ وقد عُرف عنه انحرافه عنها [١٢٥] ـ أم أنه كان يشحذ الهمم إلى إحياء الخلافة الأموية في الأندلس والتي شارك في المعترك من أجلها بالفعل . والملفت للنظر أن الأندلس وقتئذ كانت في حاجة ماسة لناظمٍ ينظم دويلاتها المتبعثرة ، حيث تفتت البلاد إلى كيانات منفصلة صغيرة يحارب بعضها بعضاً ويستنصر كلٌ منها إحدى الممالك الأسبانية المجاورة على خصمه من أمراء الطوائف ، وعوضاً عن التماس الدعم العسكري أو السياسي من القوى الإسلامية أو من الخلافة العباسية وممثليها ؛ مضى كل أمير من أمراء الطوائف إلى التدثر بالألقاب الخليفية التي لا تعني أكثر مما قاله أحد شعراء العصر فيها [١٢٦] :

مما يُزهّـــد في أرض أندلـــس سمـاع مُعتضـــد فيهـا ومُعتمـــد

ألقاب مملكةٍ في غير موضعها كالهرّ يحكي انتفاخاً صولة الأسد

أما من استشعر منهم أهمية المظلة الشرعية للخلافة ؛ فقد لجأ إما إلى إحياء الخلافة الأموية مجدداً مثلما فعل بنو عباد في إشبيلية [١٢٧] ، أو نصب خليفة أموياً جديداً مثلما فعل أبو الجيش مجاهد العامري حاكم الجزائر الشرقية عندما بايع سنة (٤٠٥ هـ / ١٠١٢ م) للفقيه المعيطي (ت ٤٣٢ هـ / ١٠٣٩ م)، والذي تلقب بـ" المنتصر بالله " [١٢٨] .

صحيحٌ أن أبابكر بن العربي رحل إلى العراق وقام بدور في ربط المغرب الإسلامي بدعوة الخليفة العباسي المستظهر بالله (٤٨٧ ـ ٥١٢ هـ / ١٠٩٤ ـ ١١١٨ م) ، لكن ذلك كان في عصر المرابطين [١٢٩] حيث عادت الدعوة العباسية إلى منابر الأندلس بسيطرة المرابطين على البلاد [١٣٠] ، ذلك أن يوسف بن تاشفين كان يعتبر نفسه قائماً بدعوة الخليفة العباسي في المغرب القائم بأمر الله (ت ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م) قبل سيطرته على الأندلس ورفض التلقب بأمير المؤمنين واقتصر على لقب : أمير المسلمين[١٣١] ، وحين جاز إلى الأندلس جوازه الثاني لحصار حصن لييط Aledo في الشرق ، تخلف بعض رؤساء الشرق عن معاونته ، وقالوا إن طاعته ليست واجبة لأنه ليس إماماً شرعياً من قريش ، فكان جواب يوسف لأولئك الزعماء المتمردين أنه خادم أمير المؤمنين المستظهر وأن الخطبة تجري باسمه على أكثر من ألفي منبر ، وتضرب السكة باسمه [١٣٢] . ومن هنا ؛ فقد حرص يوسف عقب قضائه على أمراء الطوائف وسيطرته على الأندلس على نيل مرسوم خليفي ، وسند شرعي يبرر تصرفه نحو أولئك الأمراء ، فبعث إلى الخليفة العباسي المستظهر بالله ـ الذي تولى الخلافة متزامناً مع فراغ يوسف من إنهاء دويلات الطوائف سنة (٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) ـ سفارة على رأسها عبد الله ابن محمد بن العربي المعافري الإشبيلي وولده القاضي أبو بكر " وطلبا إلى الخليفة أن يعقد ليوسف على المغرب والأندلس " فصدر له عهده بذلك [١٣٣]، كما التقى ابن العربي في سفارته بالإمام أبي حامد الغزالي(ت ٥٠٥ هـ / ١١١٢م) وطلب إليه أن يزوّده بفتوى تبيّن حكم الشرع فيما فعله يوسف بأمراء الطوائف في الأندلس .

لعل فقهاء الأندلس كانت لهم اليد الطولى في إقناع يوسف بن تاشفين بالانضواء تحت مظلة الخلافة العباسية ، إذ اقترح عددٌ منهم على يوسف بعد أن أحكم سيطرته على الأندلس أن تكون ولايته صادرة من الخليفة العباسي ببغداد لتجب طاعته على الكافة " فأرسل إلى الخليفة المستظهر بالله أمير المؤمنين رسولاً ومعه هدية كثيرة وكتب معه كتاباً يذكر ما فتح الله من بلاد الفرنج وما اعتمده من نصرة الإسلام ويطلب تقليداً بولاية البلاد ، فكتب له تقليداً من ديوان الخلافة بما

أراد ولقب أمير المسلمين وسيرت إليه الخلع فسر بذلك سروراً كثيراً " [١٣٤]، فأرسل يوسف على إثر ذلك إلى الخليفة العباسي ، فوافته الخُلع والأعلام والتقليد ، ولُقب بأمير المسلمين وناصر الدين ، وقد ضرب يوسف الدينار المرابطي الجديد ونقش على أحد وجهيه عبارة : " الأمير عبد الله العباسي " [١٣٥] .

وحينما تضعضع سلطان المرابطين وانهارت دولتهم على يد الموحدين ؛ اختفت الدعوة العباسية من معظم منابر الأندلس ، إذ لم يقرّ بها الموحدون الذين اتخذوا لقب : " الخليفة " ودعي لهم بإمرة المؤمنين ، إذ كانوا لا يعترفون بالخلافة العباسية ولا حتى بالفاطميين [١٣٦]، واللافت أن مصادرنا لا تسجل أدنى ردة فعل من قبل العباسيين وممثليهم في المشرق الإسلامي على هذا التحول السياسي في الأندلس المتمثل في إزالة المرابطين وإسقاط الدعوة لبني العباس في منابر المغرب والأندلس على حد سواء ، ولعل انشغال ممثلي الخلافة العباسية بمجابهة الصليبيين والقضاء على الفاطميين بمصر قد صرفهم عما يجري في الأندلس . كما أنه من اللافت أيضاً أن فقهاء الأندلس تقبلوا فكرة الخلافة الموحدية رغم عداء الموحدين الواضح للمالكية ، فضلاً عن تعلق فقهاء الأندلس وقتئذ بمظلة الخلافة العباسية بدليل أن أحدهم وهو اليسع بن عيسى الغافقي (ت ٥٧٥ هـ/ ١١٧٩م) هو أول من تجاسر وألقى خطبة الجمعة باسم الخليفة العباسي بمصر عقب إنهاء الحكم الفاطمي فيها على يد صلاح الدين الأيوبي [١٣٧] .

لكن بعض جهات الأندلس ظلت مستمسكة بالدعوة العباسية ، وهذا يعني أنها جيوب مرابطية حافظت على ولائها للمرابطين ، ففي جزيرة ميورقة [١٣٨] استعصى محمد بن علي غانية [١٣٩] على الموحدين وضبط أمرها وأقام والياً بها يدعو لبني العباس جرياً على ما كان عليه المرابطون [١٤٠] . ورغم أنه لم يتضح ما إذا كان ابن غانية لقي دعماً من العباسيين من عدمه ؛ إلا أن الذي يبدو هو أن العباسيين وممثليهم من الأيوبيين لم يتحمسوا كثيراً لدعوة ابن غانية باسم الخليفة العباسي ، وذلك لما كان يرجوه صلاح الدين من دعم الموحدين له في مقاومة الحملات الصليبية ، إذ أرسل رسالة لهذا الغرض [١٤١].

ولقد استعاد الأندلسيون الدعاء لبني العباس بعد تآكل نفوذ الموحدين ، فقد ظهر في منطقة الصخيرات من مرسية [١٤٢] في رجب من عام (٦٢٥ هـ / ١٢٢٨ م) محمد بن يوسف بن هود الجذامي [١٤٣] . وهو سليل ملوك سرقسطة [١٤٤] القدماء ، واشتبك في عدة معارك مع الموحدين حيث كان يتطلع إلى تخليص الأندلس من الموحدين ومن النفوذ الأسباني ، فدعا بالدعوة العباسية ، ثم أغار على مرسية في عصبته القليلة واستطاع أن ينتزعها من يد حاكمها الموحدي السيد أبي العباس ، وأخذ نجمه يتألق منذ ذلك الحين فأعلن أنه يعتزم تحرير الأندلس من الموحدين والنصارى معاً ، والعمل على إحياء الشريعة وسننها ودعا للخلافة العباسية وكاتب الخليفة العباسي المستنصر ببغداد فبعث إليه بالخلع والمراسيم وتلقب بالمتوكل على الله [١٤٥] .

وفي سنة (٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م) وردت عليه الهدية والتقليد [١٤٦] من الخليفة العباسي المستنصر بالله (٦٢٣ - ٦٤٠ هـ / ١٢٢٦ - ١٢٤٢ م) ببغداد وقرئ على الناس كتابه فصلى العيد في غرناطة [١٤٧] ، وكان الأمير ابن هود يومئذ لابساً السواد والراية السوداء بين يديه [١٤٨] . ويبدو أن المراسلات نشطت خلال هذه الفترة بين الخليفة العباسي المستنصر بالله وبين ابن هود في الأندلس [١٤٩] ، غير أن العُمر لم يمتد بابن هود ليرى نتائج سياسته ، فقد توفي بالمرية في ظروف غامضة سنة (٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م) ، وآلت مقاليد الأمور إلى أبي عبد الله محمد ابن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الغالب بالله، المعروف بابن الأحمر(٦٢٩ - ٦٧٢ هـ / ١٢٣١ - ١٢٧٣ م) والذي افتتح أمره بالدعاء للخليفة العباسي المستنصر بالله ببغداد " حاذياً حذو سميه بن هود للهجة العامة في وقته بتقلد تلك الدعوة من بالعراق إلى أن نزع عن ذلك كله "[١٥٠] . والنص السابق لا يُحدد الوقت الذي نزع فيه ابن الأحمر عن الدعاء للعباسيين وتوقف عن ذلك تماماً ، وإن كنا نميل إلى أنه جرى بعد انهيار الخلافة العباسية ببغداد سنة (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) .

الخـاتمـــة

مرّت الدعوة العباسية في الأندلس بتحولات عدة عكست عمق التغيرات السياسية التي مرّ بها العالم الإسلامي في صيرورته التاريخية وفي تطوره الفكري .

فالموقف الرافض لخلفاء بغداد الجدد لم يبدأ من الأندلس الأموية ، وإنما سبقتها إلى ذلك ولاية إفريقية ، لكن الأندلس نجحت فيما أخفقت فيه إفريقية ، حيث تمكن الأمويون من الاحتفاظ بولاية الأندلس رغم انفصالهم السياسي عن جسم الخلافة العباسية . وقد أوضحت الدراسة أن من بين الحوافز التي شجعت مؤسس الإمارة الأموية في الأندلس عبد الرحمن (الداخل) بن معاوية على إلغاء الدعوة العباسية في بلاده ؛ هو كثرة غير المسلمين من رعاياه في مجتمع الأندلس . وعندما ازدادت أعداد المسلمين في البلاد وصاروا هم الأكثرية؛ وجد الأمويون أن ثمة مسوغٍ ـ إلى جانب مسوغات أخرى ـ للتسمي بلقب (الخلافة وإمرة المؤمنين) ، فمجتمعهم مؤمن في غالبيته ، وهم أمراؤه .

أشارت الدراسة إلى أن نجاح أمويي الأندلس بالانفصال عن الخلافة العباسية لا يُعد ـ بالضرورة ـ كسباً سياسياً ، إذ كان في وسعهم التفرد بإدارة شؤون البلاد مع الاحتفاظ بالولاء الاسمي للخلافة العباسية ، بدلاً من مواجهة الثورات المتتالية التي كابدوها ثمناً لقرار الانفصال ، فنالت من طاقة الأندلس البشرية والمالية في وقتٍ هي أحوج ما تكون فيه لمثل تلك الطاقات المهدرة . وفي السياق نفسه ؛ فندت الدراسة ما يردده بعض الباحثين من تعاونٍ مفترض بين العباسيين والفرنجة لاجتثاث الحكم الأموي في الأندلس .

لقد رصدت الدراسة تطور الموقف السياسي الأندلسي من مؤسسة الخلافة ، وتباين ردود الفعل تجاه كل حالة ، ففي حين أعلن الداخل انفصاله عن الخلافة العباسية دون أن يتطاول إلى اتخاذ سمة الخلافة نفسها ؛ واجه مقاومة

مسلحة داخل بلاده ، غير أننا لم نجد مثل ردة الفعل الغاضبة تلك عندما وثب عبد الرحمن (الناصر) لاتخاذ لقب الخلافة ! وفي ذلك ما يشي بتدهور الفكر السياسي عند المسلمين ، قبل أن يكون مؤشراً على ضعف مؤسسة الخلافة نفسها، حيث انتهى الأمر إلى تفريغ (الخلافة) من مضمونها الزمني ، والإبقاء على سلطتها الروحية شعاراً ودثاراً يلتمسه المتغلبون لتبرير مواقفهم السياسية ، وهو ما شهدته الحياة السياسية في الأندلس في فترات منها ، وذلك فيما بعد سقوط الخلافة الأموية وحتى قيام مملكة بني الأحمر في غرناطة .

. الأندلس في العصر الإسلامي : vb.altareekh.com .

ـ العالم الإسلامي في العصر العباسي : vb.roooom3.com ـ

ملحق رقم (١)

كتاب الناصر بالتلقب بأمير المؤمنين وإعلان الخلافة

" بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإن أحق من استوفى حقه ، وأجدر من استكمل حظه ، ولبس من كرامة الله ما ألبسه ، فنحن للذي فضلنا الله به ، وأظهر أثرتنا فيه ، ورفع سلطاننا إليه ، ويسّر على أيدينا إدراكه ، وسهل بدولتنا مرامه ، وللذي أشاد في الآفاق من ذكرنا ، وعلو أمرنا ، وأعلن من رجاء العالمين بنا ، وأعاد من انحرافهم إلينا ، واستبشارهم بدولتنا ، والحمد لله ولي النعمة والإنعام بما أنعم به ، وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه ، وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين ، وخروج الكتب عنا وورودها علينا بذلك ، إذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له ، ودخيل فيه ، ومتسم بما لا يستحقه ، وعلمنا أن التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعناه ، واسم ثابت أسقطناه . فأمر الخطيب بموضعك أن يقول به ، وأجر مخاطباتك لنا عليه ، إن شاء الله ، والله المستعان " [١٥١]

الملحق رقم (٢)

فتوى الإمام أبي حامد الغزالي بشأن ما فعله يوسف بن تاشفين بملوك الطوائف في الأندلس

أن يوسف كان على حق في إظهار شعار الإمامة للخليفة المستظهر ، وأن هذا هو الواجب على كل ملك استولى على قطر من أقطار المسلمين ، وإذا نادى الملك المشمول بشعار الخلافة العباسية وجبت طاعته على كل الرعايا والرؤساء ، ومخالفته مخالفة للإمام ، وكل من تمرد واستعصى فحكمه حكم الباغي ، ومن حق الأمير أن يرده بالسيف ، وأن يقاتل الفئة المتمردة على طاعته ، لا سيما وقد استنجدوا بالنصارى وهم أعداء الله ، في مقاتلة المسلمين وهم أولياء الله ، وأن يستمر في قتالهم حتى يعودوا إلى طاعة الأمير العادل المتمسك بطاعة الخلافة العباسية ، ومتى تركوا المخالفة وجب الكف عنهم وذلك عن المسلمين منهم دون النصارى . وأما مايظفر به من أموالهم فمردود عليهم وعلى ورثتهم ، وما يؤخذ من نسائهم وذراريهم في القتال مهدورة لا ضمان فيها ، وحكمهم بالجملة في البغي على الأمير المتمسك بطاعة الخلافة ، المستولي على المنابر والبلاد بقوة الشوكة وحكم الباغي على نايب الإمام ، فإنه وإن تأخر عنه صريح التقليد لاعتراض العوايق المانعة من وصول المنشور بالتقليد فهو نايب بحكم قرينة الحال ، إذ يجب على إمام المصر أن يأذن لكل مسلم عادل استولى على قطر من أقطار الأرض أن يخطب له وينادي بشعاره ويحمل الخلق على العدل والنصفة ، ولا ينبغي أن يظن بالإمام توقف في الرضا بذلك والإذن فيه ، وأن توقف في كتبه المنشور ، فالكتب قد يعوق عن انشايها وإيصالها المعاذير ، وأما الإذن والرضا بعدما ظهر حال الأمير في العدل والسياسة وابتغاء المصلحة للتفويض والتعيين ، فلا رخصة في تركه ، وقد ظهر حال هذا الأمير بالاستفاضة ظهوراً لا يشك فيه . وإن لم يكن عن إيصال الكتب وانشايه عايق ، وكانت هذه الفتنة لا تنطفي إلا بأن يصل إليهم صريح الإذن والتقليد بمنشور ، مقرون بما جرت العادة بمثله في تقليد الأمراء ، فيجب على حضرة الخلافة بذل ذلك ، فإن الإمام الحق عاقلة الإسلام ، ولا يحل له أن يترك في أقطار الأرض فتنة ثايرة إلا ويسعى في إطفائها بكل ممكن "[١٥٢] .

الملحق رقم (٣)

كتاب الخليفة العباسي المستنصر بتقليد المتوكل محمد بن هود الجذامي [١٥٣]

" الحمد لله خلق الإنسان من صلصال كالفخار ، ومالك أزمّة الأقضية والأقدار ، ومكوّر النهار على الليل ومكوّر الليل على النهار ، المتعالي بوحدانيته عن الأشياء والأنظار ، المتنزه بكبريائه عن تمثيل الأوهام وتكييف الأفكار ، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، سبحانه هو الواحد القهار .

والحمد لله الذي اختار محمداً صلى الله عليه وسلم من أطيب قريش عنصراً وأرومة ، وأزكاها أصلاً وجرثومة ، وأكرمها خؤولة وعمومة ، ابتعثه والكفر قد ظهر فتيقه ، والشرك قد قامت سوقه ، والضلال قد استطارت بروقه ، والشيطان قد استظهر حزبه وفريقه ، فصدع بالحق وأظهره ، ودحض الضلال ودمره ، ورفع لواء الإيمان ونشره ، وأمات الباطل وأفتره ، وأحيان الدين الحنفي وأنشره ، فصلى الله عليه وعلى آله الذين رفعوا منار أوامره المتبعة ، وعلى صحبه الذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ، صلاة دائمة متصلة غير منقطعة ما وحدت قلوص براكب ، وضحك الروض ببكاء السحائب ، وعلى عمه ابن عبد المطلب خير الأعمام ، وكافل الأيتام وصاحب زمزم والمقام ، والمخصوص بسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ، المستنزل ببركته أنواء الغمام عن جدب العام ، ومن قال في حقه سيد الأنام محمد خاتم النبيين عليه أفضل الصلاة والسلام : " يا عم فيكم النبوة ، والخلافة لا ينازعكم فيها منازع إلا كبه الله لوجهه ولا يزال الأمر في ولدك حتى يسلموه إلى عيسى بن مريم " وقال صلى الله عليه وسلم : " إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، فمنزلي ومنزله في الجنة تجاهين ، وعمي العباس بيننا مومي بين خليلين ، اللهم اغفر للعباس وولد العباس ومحبي ولد العباس مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر لهم ذنباً ، اللهم احفظه في ولده واخلفه فيهم ، واحفظ ذريته من كل سوء ، وأعزهم بعونك ما بقي منهم باق "

" يا عم لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم الله ورسوله " وجاء في الحديث : أن العباس دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فخفض النبي صلى الله عليه وسلم صوته فقيل له يا رسول الله ، رأيناك خفضت صوتك لما دخل العباس؟ فقال : إن جبريل أمرني أن أخفض صوتي عنده ، كما أمركم أن تخفضوا أصواتكم عندي " وفي الحديث : أن جبريل عليه السلام هبط على النبي صلى الله عليه وسلم وعليه قباء وعمامة أسودان ، فقال له : يا أخي ما هذه الصورة التي ما أراك هبطت عليّ في مثلها ؟ فقال له : شعار ولد عمك العباس ، وليأتين على أمتك زمان يعز الله فيه الإسلام بهذا السواد ، وسيملكون الأبيض والأحمر والأصفر والأخضر والحجر والمدر والصفا والمنحر والسرير والمنبر والدنيا إلى المحشر والخلافة إلى المنشر وعليهم تقوم الساعة .

والحمد لله الذي اجتنى من هذه الدوحة العباسية الشماء ، والشجرة الطيبة الهاشمية التي أصلها ثابتٌ وفرعها في السماء إماماً ألقى ولاءه في القلوب والأرواع ، واسترعاه فوجده لأمته خير راع ، وأوضح للناس من اعتقاده ووجوب طاعته سناً قويماً ، وجعله كما قال عز وجل :وكان بالمؤمنين رحيما ، سيدنا ومولانا ، إمام المسلمين وخليفة الله في الأرضين ، ووارث الأنبياء والمرسلين ، المفترض الطاعة على الخلق أجمعين ، الممون بإيالته المقدسة على العالمين ، مولانا أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين ، إمام تحلت أجياد المنابر بجواهر شريف دعوته ، وترصعت تيجان المآثر بلآليء معدلته وحسن سيرته ، ونزلت السكينة على العباد والبلاد بالسكون تحت وارف ظل رأفته المقدسة ورحمته ، فالناس وادعون في كنف عميم مكارمه وعواطفه ، والخلائق راتعون في رياض جسيم مواهبه وعوارفه . فأدام الله أيامه الزاهرة دواماً يُخلق أثواب الأعوام وهو جديد ، وجعل دعوته القاهرة مقرونة بالدوام والتخليد إلى يوم الوعيد .

ولما انتهى إلى علومه الشريفة زادها الله شرفاً وقدساً ، ما عليه مجاهد الدين محمد بن يوسف بن هود من سلوك سنن الطاعة المؤسس بنيانها على تقوى من الله ورضوان ، والتزام شروط الولاء الذي علامة متانة الدين ، وكمال الإيمان ، والتصدي لقارعة الناكبين عن محجة الحق والهدى ، والتجرد لمرابطة من حاد عن السنة والإجماع اللذين بهما يسترشد ويهتدي ، اقتضت إزاؤه الشريعة المقدسة النبوية الإمامية الطاهرة الزاكية الممجدة المعظمة المكرمة المستنصرية ، زادها الله جلالاً متألق الأنوار ، وشرفاً رفيع المنار ، واقتداراً تجوب جياده جنوب الآفاق والأقطار ، أن يقلده أمر جزيرة الأندلس ، ويجري معها من الولايات والبلاد ، ويسوغه ما يفتتحه من مماليك أهل الكفر والعناد تقليداً صحيحاً شرعياً وتسويقاً صريحاً أمامياً وإنعاماً يضفو عليه لباس بخارة الفضفاض ، وتصفو لديه موارد مواهبه النميرة العياض ، وقد أمره صلوات الله عليه بأوامر تهديه إلى سبيل الرشاد ، وتحظيه برضا الله الذي هو أنفع الذخائر في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

أمره بأن يتدرع شعار التقوى الله الذي هو خير لباس ، ويستشعر جعلته التي تجعل له كما قال عز وجل : " نوراً يمشي به في الناس " ، فإن تقوى الله تعالى هي المنجية من تورد مهاوي الأنام والعصيان ، والسبب الذي يعتصم به من كان من العناية الأزلية بمكان ، قال الله تعالى : " وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب " ـ البقرة ١٩٧ ـ ، وأمره أن يجعل كتاب الله تعالى مناراً يرجع إليه في حل المشكلات ، ومصباحاً يستضيء بمراشده في الأحكام المشتبهات بأنه الفرقان الفارق بين الحلال والحرام ، والنور الساطع الذي " يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام " ـ المائدة ١٦ ـ ، قال الله تعالى : " ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين " ـ النحل ٨٩ ـ .

وأمره أن يعمل بسنة النبي صلى الله عليه وسلم في مصادرة أموره وموارده ، وبإجماع المسلمين في جميع مناحيه ومقاصده ، فإن اتباع السنة يرشده

إلى منهج الحق وسبيله ، والإجماع يوضح له معاني كتاب الله وأحكام رسوله صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى : " وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا " ـ الحشر ٧ ـ ، أمره أن يكثر من مجالسة الفقهاء والعلماء ، وأرباب الديانة الصلحاء ، ومشاورة العقلاء الألباء ، فإن مجالسة العلماء لقاح الخواطر ، ومعاشرة الصالحين فيها رادع عن إتباع الأهواء وزاجر ، ومشاورة الألباء تقدح بها زناد التوفيق في النواهي والأوامر ، قال الله تعالى : " وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين " ـ آل عمران ١٥٩ ـ ، وأمره بأن يحسن السيرة في رعيته ويسكنهم أرحب كنف من حنوه وشفقته ويساوي بينهم في مجالس نظره وحكومته ، ولا يفرق في التفاتة بين القوي والضعيف ، ولا يميز بما يقتضيه العدل والإنصاف بين المشروف والشريف ، ويقوي الحاكم على ما يوجبه الشرع ويقتضيه ، ويأمرهم بإقامة القسطاس الذي يحبه الله ويرتضيه ، قال الله تعالى : " إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل " ـ النساء ٥٨ ـ ، وأمره أن يقتدي في جميع أموره وتصرفاته وحركاته وسكناته بما أمر الله تعالى به في كتابه المكتوب الذي " لا يمسه إلا المطهرون " ـ الواقعة ٧٩ ـ من قوله عز وجل : " إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون " ـ النحل ٩٠ ـ .

وأمره أن يعتمد في مجاهدة الكفار الملاعين وأحزاب الشيطان المشركين ما أمر الله تعالى به في قوله عز وجل " يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم " ـ التوبة ٧٣ ـ ، وقوله " يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين " ـ التوبة ١٢٣ ـ ، وقوله تعالى " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين " ـ العنكبوت ٦٩ ـ . فليكن مجاهد الدين بهذه المراشد مقتدياً ، ولمناهج أوامرها المطاوعة مقتفياً ، فإنه إذا اتبع هداها ، وامتثل مراسمها واحتذاها وتمسك بعصم طاعة من أوجب الله عليه وعلى الخلائق اعتقاد مفروض طاعته وطوق أعناقهم بالتزام شروط موالاته

وعبوديته ، سيدنا ومولانا خليفة الله في أرضه ، والقائم بسنة دينه وفرضه ، أبي جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين ، فازت قداحه وتضاعفت من أقسام السعادة الراهنة متاجره وأرباحه ، فإن ذلك عند ذوي الديانات المتينة أحكم الأوامر وأوثق العرى ، والذخر الذي يجده كل موفق مسعود " يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً " ـ آل عمران ٣٠ ـ إن شاء الله .

وكتب في العشر الوسط من ذي القعدة سنة تسع وعشرين وستمائة .

الهوامش

١. حسين مؤنس،" المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط إلى الحروب الصليبية "، المجلة التاريخية المصرية ، ١٩٥١ ، المجلد الرابع ـ العدد الأول ، ص ٨٠ ، ٨٥ .

٢. عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري ، سار إلى الأندلس مع بلج بن بشر وحاول نيل أمارتها فلم يفلح ، ثم عاد إلى إفريقية وتمكن بمساعدة مؤيديه من انتزاعها من واليها حنظلة بن صفوان ، فاستقل بأمارتها عشر سنين وسبعة أشهر ؛ انظر : ابن عذاري ، أبو العباس أحمد بن محمد ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق جورج كولان وليفي بروفنسال ، (بيروت : دار الثقافة ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م) ج ١ ، ص ٦٠ .

٣. حنظلة بن صفوان الكلبي ، من أهل دمشق ، استخلفه أخوه بشر بن صفوان على إمارة مصر سنة ١٠٣ هـ ، وأقره الخليفة يزيد بن عبد الملك . ثم تقلدها مرة أخرى في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك سنة ١١٩ هـ ، وانتقل بعدها إلى ولاية أفريقية حيث نجح في إخماد ثورات الصفرية من خوارج البربر ؛ ابن عذاري ، البيان ، ج ١ ، ص ٥٨ .

٤. ابن عذاري، البيان ، ج ١ ، ص ٦٧ ؛ سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، (الإسكندرية : منشأة المعارف ، ١٩٩٥) ، ج ١ ، ص ٣٣٠ .

٥. ابن عذاري ، البيان ، ج ١ ، ص ٦٧ .

٦. القيروان : قاعدة إفريقية . بناها عقبة بن نافع ؛ ابن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ط ٢ ، (بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٤٨ م)، ص ٤٨٦ .

٧. طرابلس أو أطرابلس: من أكبر مدن إفريقية، تقع على ساحل البحر المتوسط ، وتمتاز بتعدد أسواقها وكثرة بساتينها ووفرة محاصيلها الزراعية ؛ الحميري ، الروض ، ص ٣٨٩

٨. ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن محمد ، الكامل في التاريخ ، (بيروت : دار الفكر ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٨ م)، ج ٤ ، ص ٢٨٠ . وأما عبد الرحمن بن انعم فهو أبو خالد عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافري الشعباني ، كان من جلة المحدثين ، ولي قضاء إفريقية مرتين ؛ الأولى في عهد الخليفة الأموي مروان بن محمد ، والثانية زمن الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ؛ انظر : المالكي ، أبو بكر عبد الله بن محمد ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوافهم ، تحقيق بشير البكوش ، ط ٢ ، (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م) ، ج ١ ، ص ١٥٢ وما بعدها .

٩. قرطبة Cordoba : تقع على نهر الوادي الكبير جنوبي الأندلس ، وبها مستقر خلافة الأمويين ، وهي على سفح جبل مطل عليها يسمى جبل العروس ، وليست قرطبة اليوم في مصاف المدن الأسبانية الكبيرة كبلنسية أو إشبيلية من حيث اتساع الرقعة أو كثافة السكان ؛ انظر : الحميري ، الروض ، ص ٤٥٦ ؛ محمد عبد الله عنان ، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال ، ط ٢ ، (القاهرة : مؤسسة الخانجي ، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م) ، ص ١٨ .

١٠. أشار ابن القوطية إلى أن عامراً قرشيٌ عامريٌ ، وعلى ما يبدو فإن الأندلس لم يستقر بها أحدٌ من بني عامر بن لؤي القرشيين ؛ والصواب أن عامر بن وهب قرشي من بني عبد الدار كما جاء في " أخبار مجموعة " وإن كان الأخير أخطأ في نسبته إلى أبي عدي أخي مصعب بن عمير ، إذ لا يوجد لمصعب رضي الله عنه أخٌ بهذا الاسم ، وإنما هو من نسل أبي عزيز بن عمير ؛ انظر : ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، ط ١ ، (بيروت : مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤) ، ص ٨٥ ؛ مجهول المؤلف ، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، ط ١ ، (القاهرة ـ بيروت : دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م)، ص ٦٣ ؛ ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٥ ، (القاهرة : دار المعارف ، د . ت) ، ص ١٢٦ .

١١. أبو جوشن الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن الكلابي الضبابي . اشتهر بالشجاعة والجود . كان جده من وجهاء العرب بالكوفة ، وانتقل منها إلى الشام . دخل الأندلس في طالعة بلج بن بشر القشيري . مات الصميل في سجن عبد الرحمن الداخل سنة ١٤٢ هـ ؛ انظر : ابن الأبار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي ، الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، ط ١ ، (القاهرة : الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ م) ، ج ١ ، ص ٦٧ ـ ٦٨ .

١٢. الجزيرة الخضراء Algeciras : تقع في جنوب الأندلس على ضفاف البحر ، وتتصل أعمالها بأعمال شذونة، وهي في مقابل مدينة سبتة من العدوة المغربية ؛ انظر : ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي، معجم البلدان، (بيروت : دار صادر ، د . ت) ، ج ٢، ص ١٣٦.

١٣. شقندة Secunda : قرية جنوب شرقي قرطبة على نهر الوادي الكبير ؛ انظر : ابن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار ، ص ٣٤٩ .

١٤. يطلق على أحد الأبواب الغربية بقرطبة " باب عامر " نسبة إلى عامر هذا ؛ انظر : مجهول المؤلف ، وصف جديد لقرطبة الإسلامية ، نشره حسين مؤنس ، (مدريد : صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦) ، المجلد ١٣ ، ص ١٦٧ .

١٥. أخبار مجموعة ، ص ٦٤ .

١٦. ابن حزم ، جمهرة ، ص ١٢٦ .

١٧. الحميدي ، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر ، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري ، ط ١ ، (القاهرة ـ بيروت : دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) ، ج ١ ، ص ٣٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٠٨ .

١٨. أخبار مجموعة ، ص ٦٣ .

١٩. سرقسطة Saragosse : تقع في شمال شرق الأندلس ، وهي عاصمة الثغر الأعلى في العصر الأموي . تمتاز بكثرة بساتينها ، وتعرف بالبيضاء . وهي اليوم مركز تجاري وصناعي قد خلعت عنها طابع العصور الوسطى ؛ انظر : الحميري ، الروض ، ص ٣١٧ ؛ عنان ، الآثار ، ص ١٠٤ .

٢٠. عبد الواحد ذنون طه ، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، (العراق : دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٢ م) ، ص ٤٠١ .

٢١. أخبار مجموعة ، ص ٦٢ ؛ عبد الواحد ذنون طه ، الفتح والاستقرار العربي . ويشير صاحب " ذكر بلاد الأندلس) إلى كثرة من نزل سرقسطة من بني الأنصار ؛ مجهول المؤلف ، ذكر بلاد الأندلس ، تحقيق لويس مولينا ، (مدريد : المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، ١٩٨٣ م) ، ص ٧٠ .

٢٢. أخبار مجموعة ، ص ٦٣ .

٢٣. ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٣٤٥ .

٢٤. الحُباب بن رواحة القرشي الزهري : ثار بسرقسطة سنة ١٣٧ هـ وانضم إلى عامر بن وهب في حصار الصميل بن حاتم بسرقسطة مدة سبعة أشهر ؛ انظر : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٧ .

٢٥. مجهول المؤلف ، أخبار مجموعة ، ص ٦٣ ـ ٦٤ .
٢٦. أبو عثمان عبيد الله بن عثمان ، من زعماء الموالي الأموية في الأندلس . اشترك في تأسيس الإمارة الأموية بعد مجيء الداخل ، واتخذه عبد الرحمن وزيراً له ، وقاد عدداً من الحملات العسكرية ؛ انظر :ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٢ ، ٤٨ .
٢٧. عبد الله بن خالد بن أبان بن أسلم ، مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، كان يتولى حمل لواء بني أمية في الأندلس بالتناوب مع أبي عثمان عبيد الله بن عثمان . ساهم في دعم مشروع عبد الرحمن بن معاوية لنيل الإمارة بالأندلس ؛ انظر : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٢ .
٢٨. مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٠٢ ـ ١٠٣؛ ابن عذاري ، البيان ، ج ١ ، ص٥٠ .
٢٩. أخبار مجموعة ، ص ٦٦ ـ ٦٧ .
٣٠. أخبار مجموعة ، ص ٦٩
٣١. أخبار مجموعة ، ص ٧٣ .
٣٢. ابن الأبار ، الحلة السيراء ،ج ١ ، ص ٣٥ ـ ٣٦ .
٣٣. ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٣٥ .
٣٤. ابن القوطية ، تاريخ ، ص ٨٩ ـ ٩٠ .
٣٥. مجهول المؤلف ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ١١٦ .
٣٦. المقري ، أحمد بن محمد ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، (بيروت : دار صادر ، د . ت) ، ج ٣ ، ص ٥٩ .
٣٧. ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٥٦ .
٣٨. السيد عبد العزيز سالم ، " حول اتخاذ السواد ورفع الألوية والأعلام السوداء في المغرب والأندلس " ـ بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة ـ ، ط ١ ، (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١) ، القسم الأول ، ص ٤٢٠ .
٣٩. مجهول المؤلف ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ١١٦ .
٤٠. ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج١ ، ص ٣٥ ـ ٣٦ .
٤١. ابن عذاري ، البيان ، ج ٢ ، ص ٤٨ .

٤٢. ليفي بروفنسال ، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية ، ترجمة علي البمبي وزميليه ، (القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٠) ، ط ٣ ، ص ١٢٦ .

٤٣. ابن الأبار ، الحلة ، ج ١ ، ص ٣٦ ؛ المقري ، نفح ، ج ٣ ، ص ٥٩ .

٤٤. عنان ، دولة الإسلام ، العصر الأول ـ القسم الأول ، ص ١٩٧ .

٤٥. ابن عذاري ، البيان ، ج ٢ ، ص ٥٩ .

٤٦. Mahmud Ali Makki , Ensayo Sobre Las Aporaciones Orientales Enla Espana Musulmana ,

(Madrid : Publicaiones Del Insttuto De Estudios Islamicos , 1968) , P . 91

٤٧. ابن القوطية ، تاريخ ، ص ٨٦ ؛ أخبار مجموعة ، ص ٧٠ .

٤٨. قرمونة Carmona: تقع على مقربة من جنوبي نهر الوادي الكبير في شمال شرقي إشبيلية على بعد ٣٢ كلم منها ، وتمتاز بخصوبتها ووفرة محاصيلها من الزيتون والقمح ؛ انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٣٠ ؛ محمد عبد الله عنان ، الآثار الأندلسية ، ص ٧١ .

٤٩. محمد بن الأشعث الخزاعي ، ولاه أبو جعفر المنصور إفريقية سنة ١٤٤ هـ بعد أن استنصر عرب إفريقية بالمنصور نتيجة الأذى الذي نالهم من الخوارج فيها . سار ابن الأشعث من مصر في أربعين ألف مقاتل فهزم أبا الخطاب الهواري زعيم الإباضية ، ودخل القيروان فبنى سورها وضبط إفريقية وأعمالها فدانت له بالطاعة . استمرت ولايته فيها لمدة ثلاثة أعوام وعشرة أشهر ، إذ خرج عليه الجند وسألوه الخروج عنهم، وذلك في ربيع الأول من سنة ١٤٨ هـ ؛ انظر : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٧٢ ـ ٧٣ .

٥٠. السيد عبد العزيز سالم ، " العلاء بن مغيث الجذامي الثائر على دولة بني أمية في الأندلس هل هو يمني من جند مصر"، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار ، ط١، (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١) ، القسم الأول ، ص ٤٤٢ .

٥١. ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٥١ ، ٥٣

٥٢. باجة Beja : من المدن القديمة في غربي الأندلس ، بينها وبين قرطبة مائة فرسخ ، أي نحو ستمائة كيلو متر ، وهي من الكور المجندة ، نزلها جند مصر ؛ انظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص ٧٥ .

٥٣. السيد عبد العزيز سالم ، بحوث ، القسم الأول ، ص ٤٤٢ .

٥٤. انظر إجراءات والي الأندلس أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي سنة ١٢٤ هـ في إسكان القبائل الشامية على مناطق عجم أهل الذمة ؛ ابن القوطية ، تاريخ ، ص ٨٤ .

٥٥. ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٥١ ، ٥٣

٥٦. ابن القوطية ، تاريخ ، ص ٩١ .

٥٧. شذونة Sidona : مدينة بالأندلس تتصل بكورة مورور ، وهي من الكور المجندة، نزلها جند فلسطين . تتمتاز بخصوبة تربتها ووفرة مياهها ؛ انظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص ٣٣٩ .

٥٨. أخبار مجموعة ، ص ٩٣ .

٥٩. هو ابن والي الأندلس عبد الملك بن قطن الفهري الذي تولى الأندلس على فترتين ؛ أولاهما من (١١٤ ـ ١١٦ هـ) والثانية من (١٢٢ ـ ١٢٣ هـ) . فر من قرطبة بعد مقتل والده على يد بلج بن بشر القشيري وجنوده من الشاميين ، فتوجه إلى سرقسطة بصحبة أخيه قطن بن عبد الملك ، وهناك حشدا أكثر من مائة ألف مقاتل توجها بهم لملاقاة بلج بن بشر في قرطبة فاقتتلوا ولحقت الهزيمة بأمية ومن معه ؛ انظر : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٢ .

٦٠. طليطلة Toledo : تقع على ضفاف نهر تاجه ، ويتصل عملها بعمل وادي الحجارة ؛ انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٩ ـ ٤٠ .

٦١. عبد الحميد العبادي ، المجمل في تاريخ الأندلس ، (القاهرة : ١٩٨٥ م) ، ص ٧٩ .

٦٢. إشبيلية Sevilla : تقع إلى الغرب من قرطبة ، ويطل عليها جبل الشرف المشهور بكثرة أشجار الزيتون والفواكه ، وهي اليوم تعد بين المدن الأسبانية الكبيرة ، وبها ميادين جميلة وشوارع فسيحة عامرة ؛ انظر : ياقوت ، معجم ، ج ١ ، ص ١٩٥ ؛ عنان ، الآثار ، ص ٤٥ .

٦٣. ابن القوطية ، تاريخ ، ص ٣٢ ؛ أخبار مجموعة ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٥٢ .

٦٤. ابن القوطية ، تاريخ ، ص ٩١ ـ ٩٢ .

٦٥. ابن الدلائي العذري ، أحمد بن عمر ، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك ، تحقيق عبد العزيز الأهواني ، (مدريد : معهد الدراسات الإسلامية ، ١٩٦٥) ، ص ١١ ؛ خالد الصوفي ، تاريخ العرب في الأندلس ، ط ٢ ، (د . م : منشورات جامعة قاريونس ، ١٩٨٠) ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

٦٦. عبد الرحمن بن حبيب الفهري . عُرف بلقب الصقلبي لأنه كان طويلاً، أشقر ، أزرق ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص٥٥ .

٦٧. حنظلة بن صفوان الكلبي : كان والياً على مصر ، ثم عينه الخليفة هشام بن عبد الملك على إفريقية سنة ١١٩ هـ بعد نكبة جيش الخلافة بقيادة كلثوم بن عياض إثر قتال البربر الصفرية بالمغرب . أوقع حنظلة بالخوارج الصفري في معركة القرْن والأصنام ، عاد حنظلة إلى مصر سنة ١٢٩ هـ إثر خروج عبد الرحمن بن حبيب الفهري وطلبه الإمارة ؛ انظر : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٥٨ ـ ٦٠ .

٦٨. عنان ، دولة الإسلام ، عصر أول ـ قسم أول ، ص ١٨٥ ؛ ونص " بروفنسال " على أن الخليفة العباسي المهدي أوكل إلى عبد الرحمن بن حبيب الفهري مهمة مشابهة للمهمة التي كلف بها أبو جعفر المنصور (العلاء بن مغيث) عام ١٤٦ هـ ، وهي تشكيل حزب موالٍ للعباسيين، وتجنيد المتعاطفين معه من كل الطبقات الاجتماعية ، وخاصة من البربر لتكوين جيش قادر على إسقاط النظام الأموي ، ولم يذكر بروفنسال مصدراً لمعلوماته تلك ؛ انظر : ليفي بروفنسال ، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية ، ترجمة علي البمبي وزميليه، ط ٣، (القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٠ م) ، ص ١٢٠ . وممن ذهب إلى وجود مؤامرة مشتركة بين العباسيين والفرنجة : أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، (الإسكندرية : مؤسسة الثقافة الجامعية ، د . ت) ، ص ١٠٦ .

٦٩. سرقسطة Saragosse : عاصمة الثغر الأعلى في العصر الأموي ، وهي تقع في شمال شرق الأندلس . تمتاز بكثرة بساتينها ، وتعرف بالبيضاء . وهي اليوم مركز تجاري وصناعي ؛ ابن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار ، ص ٣١٧ ؛ محمد عبد الله عنان ، الآثار ، ص ١٠٤ .

٧٠. عنان ، دولة الإسلام ، العصر الأول ـ القسم الأول ، ص ١٧٠ ـ ١٧١ ؛ محمد مرسي الشيخ ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي ، (الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١) ، ص ١٤٠ ؛ محمد عبده حتامله ، الأندلس : التاريخ والحضارة والمحنة ، (عمّان ـ الأردن : مطابع الدستور ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م) ، ص ٢٠٧ .

٧١. محمد مرسي الشيخ ، دولة الفرنجة ، ص ١٤٠

٧٢. الصوفي ، تاريخ العرب ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

٧٣. محمد مرسي الشيخ ، دولة الفرنجة ، ص ١٤٢ .

٧٤. ليفي بروفنسال ، تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ص ١٢٠ ؛ محمد مرسي الشيخ ، دولة الفرنجة ، ص ١٣٧ ؛ أحمد مختار العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٠٦ ـ ١٠٧ ؛ محمد عبده حتامله ، الأندلس ، ص ٢٠٦ .

٧٥. عبد الجليل عبد الرضا الراشد ، العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والأندلس في القرنين الثاني والثالث للهجرة ، (الرياض : منشورات مكتبة النهضة ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) ، ص ١١٤ ؛ محمد عبد حتامله ، الأندلس ، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

٧٦. الرُماحس بن عبد العزيز الكناني ، كان يلي الشرطة لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، ثم لحق بالأندلس ، وولاه عبد الرحمن الداخل الجزيرة الخضراء ، لكنه خلع طاعته سنة ١٦٤ هـ وقبض على نفرٍ من الأمويين فزج بهم في السجن . انتهى به الأمر إلى الفرار من الجزيرة الخضراء والخروج إلى المغرب ؛ انظر : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٥٦ .

٧٧. أخبار مجموعة ، ص ١٠٢ .

٧٨. جيجل : مدينة قديمة صغيرة من أرض المغرب ، على ضفاف البحر ، تقع فيما بين مدينة ميلة ومدينة بجاية . اشتهرت بكثرة التفاح والفواكه والعنب ؛ انظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص ١٨٤ .

٧٩. أبو خالد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي . ولي إفريقية في خلافة أبي جعفر المنصور. اعتنى بتنظيم القيروان وجدد مسجدها الجامع ، كان جواداً ممدحاً . استمرت ولايته من سنة ١٤٤ هـ إلى ١٥٢ هـ ؛ انظر : ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٧٢ ـ ٧٣ .

٨٠. العلاء بن سعيد بن مروان المهلبي ، كان والياً على الزاب بإفريقية ؛ انظر : ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٨٧ .

٨١. المخارق بن غفار الطائي : من قادة الجيش العباسي في إفريقية . ولي إفريقية سنة ١٥٠ هـ بعد وفاة الأغلب بن سالم التميمي ، حيث استخلفه الأغلب على القيروان ، واجتمع عليه الناس في رمضان ، فنهض لقتال الثوار ؛ انظر : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٧٧ .

٨٢. ابن عذاري ، البيان ، ج ١ ، ص ٧٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٣٣ .

٨٣. سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ٣٦٢ .

٨٤. ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٢٣ ؛ الصوفي ، تاريخ العرب ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

٨٥. عنان ، دولة الإسلام ، العصر الأول ـ القسم الأول ، ص ١٨٦ .

٨٦. أخبار مجموعة ، ص ١١٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٦٠ .

٨٧. برشلونة Barcelona : تقع على ساحل البحر المتوسط ، بينها وبين طركونة مسافة خمسين ميلاً . تكثر فيها الحنطة والحبوب والعسل؛ انظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص ٨٦ ـ ٨٧ .

٨٨. أخبار مجموعة ، ص ١١٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٦٠ .

٨٩. ابن عذاري ، البيان ، ج ٢ ، ص ٥٦ .

٩٠. ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٦٠ ؛ عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ـ القسم الأول ، ص ١٨٥ ـ ١٨٦ ؛ بروفنسال ، تاريخ إسبانيا ، ص ١٢٠ .

٩١. ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٦٣ ـ ٦٤ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٥٤ .

٩٢. ابن حيان ، أبو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبي ، المقتبس ، السفر الثاني ، تحقيق محمود علي مكي ، ط ١ ، (الرياض : مركز الملك فيصل لبحوث والدراسات الإسلامية ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) ، ص ٢٦٨ .

٩٣. ابن حيان ، المقتبس ، السفر الثاني ، ص ٢٦٨ .

٩٤. أمثال : أبي إسحاق محمد بن عبد الوهاب بن المهتدي حيث استقبله الخليفة الناصر بإكرام ، وعلي بن محمد القرشي العباسي ضيف الخليفة الحكم المستنصر بالله؛ انظر: ابن حزم ، جمهرة ، ص ٢٦ ، ٣٤ .

٩٥. سبتة Cueta : مدينة مغربية تشرف على مضيق جبل طارق ، وتقابل الجزيرة الخضراء في الأندلس ، وهي ميناء كبير في البحر المتوسط استولى عليها البرتغاليون سنة (٨١٨ هـ) ثم احتلها الأسبان من بعدهم ولا تزال في حوزتهم إلى الآن . يوجد بها آثار إسلامية ومعالم تاريخية، وبضاحيتها جبل موسى المنسوب إلى موسى بن نصير ؛ انظر : ابن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار ، ص ٣٠٣ ؛ الصديق بن العربي ، كتاب المغرب ، ط ٣ ، (بيروت : دار الغرب الإسلامي ودار الثقافة ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) ، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

٩٦. ابن حيان ، أبو مروان حيان بن خلف ، المقتبس ، نشره بيدرو شالميتا ، (مدريد : المعهد الإسباني العربي للثقافة ، ١٩٧٩ م) ، ج ٥ ، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦ . أما وهران ؛ فهي مدينة مغربية على ساحل البحر المتوسط ، أنشئت عام ٢٩٠ هـ ، وتمتاز بكثرة المياه والبساتين والثمار ، وهي اليوم من الموانئ المهمة في الجزائر ، وتشتهر بصيد الأسماك وكثرة الكروم ووفرة الحمامات المعدنية ؛ انظر : ابن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار ، ص ٦١٢ ؛ ناجي جواد ، رحلتي إلى إفريقية العربية (الجزائر) ، (حلب : مجلة الضاد ، د . ت) ، ص ١١٣ .

٩٧. محمد أحمد عبد المولى ، القوى السنية في المغرب من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة الزيرية ، ط ١ ، (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ م) ، ج ٢ ، ص ٦٢٤ ـ ٦٢٥ .

٩٨. ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ . .

٩٩. المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، (بيروت : دار المعرفة ، د . ت) ، ج ١ ، ص ٧٨ ؛ ابن خلدون ، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ، المقدمة ، (بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، د . ت) ، ص ١٩٠ .

١٠٠. عنان ، دولة الإسلام ، العصر الأول ، ص ١٩٧ .

١٠١. ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ، المسالك والممالك ، ط ١ ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) ، ص ٨٣ .

١٠٢. Miguel Cruz Hernandez , LA ESTRUCTURA SOCIAL , AWRAQ , Instituto Hispano – Arabe de Cultura . Numero 2 , 1979 , p . 35

١٠٣. ابن حيان ، المقتبس ، السفر الثاني ، ص ٩٤ .
١٠٤. ابن حيان ، المقتبس ، القسم الثاني ، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ .
١٠٥. ابن حيان ، المقتبس ، القسم الثاني ، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .
١٠٦. البيت لشاعر العصر في وقته (عباس بن فرناس) ؛ انظر : ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق مكي ، ص ٢٨٣ .
١٠٧. عمر بن حفص ـ المعروف بحفصون ـ بن عمر بن جعفر بن شتيم بن فرغلوش بن أذفونش . يعتبر من أكبر زعماء المولدين الذين حملوا لواء الثورة والعصيان في ورة رية ضد الحكم الأموي ، وذلك قبيل سنة ٢٧٥ هـ . استنزفت ثورته قدراً هائلاً من جهود الإمارة الأموية طوال الربع الأخير من القرن الثالث الهجري ؛ انظر : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٠٦ .
١٠٨. محمد عبده حتامله ، الأندلس ، ص ٣٠١ .
١٠٩. محمد عيسى الحريري ، حركات المولدين في الجنوب الأندلسي في عصر الإمارة الأموية بالأندلس ، (د.ت : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ م) ، ص ٨٥ .
١١٠. أبو عبد الله الشيعي ، داعية الفاطميين في إفريقية . زحف إلى القيروان ونازلها ، واستولى على رقادة عاصمة الأغالبة فاستولى عليها وقضى على دولة الأغالبة . كان أديباً شاعراً ؛ انظر : ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ١٩٤ .
١١١. مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٥٥ .
١١٢. الواقع أن سيرة الخليفة المعتضد العباسي قد أثارت إعجاب الأندلسيين ، ومن هؤلاء المعتضد بن عباد أمير إشبيلية في فترة الطوائف حيث (اعتمد سيرة أحمد بن أبي أحمد بن المتوكل أحد اشداء خلفاء العباسيين الذي ضم نشز المملكة بالمشرق وسطا المنتزين عليها وبفقده انهدنت الدولة ، فتحمل عباد سمته المعتضدية وطالع بفضل نظره أخباره السياسية التي أضحت عند أهل النظر أمثلة هادية للاحتواء على أمد الرياسة في صلابة العصا وشناعة السطاء) انظر: ابن عذاري ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .
١١٣. مجهول المؤلف ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٦١ .
١١٤. ابن حيان ، المقتبس ، ج ٥ ، ص ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢١٢ .

١١٥. Thomas Glick , Islamic and Christian Spain in the Early Middle Ages , (Princeton : Princeton University Prees , 1979, p 41 .

١١٦. ابن خرداذبة ، المسالك، ص٨٣ ؛ ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ط١ ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨) ، ص ٨٠ .

١١٧. ليفي بروفنسال ، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية ـ النظم والمؤسسات والحياة الاجتماعية والفكرية ـ ، ترجمة علي عبد الرؤوف البمبي وزميليه، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢)، المجلد الثاني، ج ١ ، ص ٣٦ .

١١٨. ابن تيمية ، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ، نقد مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات لابن حزم ، ط ٢ ، (بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م) ، ص ٢١٦ .

١١٩. ابن الأزرق ، أبو عبد الله محمد بن علي ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق علي سامي النشار، (بغداد : منشورات وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٧) ، ج ١، ص ٧٧ .

١٢٠. أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي الباجي ، من أهل قرطبة ، أقام بمكة مع أبي ذر الهروي ثم رحل إلى بغداد فأقام فيها ثلاثة أعوام يُدرّس الفقه ويكتب الحديث . توفي بالمرية سنة ٤٧٤ هـ ؛ انظر : ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ص ١٩٧ ـ ١٩٩

١٢١. ابن الأبار ، الحلة ، ج ٢ ، ص ٩٨ ؛ حسين مؤنس ، شيوخ العصر في الأندلس ، ط٢، (القاهرة : دار الرشاد ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م) ، ص ٩٧ .

١٢٢. ابن بسام الشنتريني ، أبو الحسن علي ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق سالم مصطفى البدري، (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م)، ج ٢ ، ص٤٧ وما بعدها ؛ محمد بن عبود ، جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري ، (تطوان : المعهد الجامعي للبحث العلمي ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م) ، ص ١٧٦ .

١٢٣. ابن بشكوا ل، الصلة ، ج ١ ، ص ٣٨١ .

١٢٤. حسن الوراكلي ، " حول مفهوم الخلافة عند ابن حزم " ـ أبحاث أندلسية ـ ، ط ١ ، (طنجة : المطابع المغربية والدولية ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م) ، ص ١٣٣ .

١٢٥. عُرف عن ابن حزم كراهيته للرايات السود ـ شعار العباسيين ـ مما يدل على تعلقه بالأمويين ، وفي ذلك قال: ومُذ لاحت الراياتُ سُوداً تيقنت نفوس الورى أن لا سبيل إلى الرشد انظر : ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد ، طوق الحمامة في الألفة والألاف ـ ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي ـ، تحقيق إحسان عباس، ط ٢، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ٢٠٠٧ م) ، المجلد الأول ، ص ١٣٣ .

١٢٦. ابن الخطيب ، لسان الدين ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام ، تحقيق سيد كسروي ، ط ١ ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) ، ج ٢ ، ص ١٤٠ .

١٢٧. ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٣٤ ؛ محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندل – عصر الطوائف –، ط ٤،(القاهرة : مكتبة الخانجي، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) ، ص ٣٧ .

١٢٨. ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة ، ج ١ ، ص ٢٤ ؛ المرواني ، أبو طالب عبد الجبار بن عبد الله ، قطعة من كتاب عيون الإمامة ونواظر السياسة ، تحقيق بشار عواد معروف وصلاح محمد جرار ، ط ١، (تونس : دار الغرب الإسلامي، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م) ، ص ١٥٣ ـ ١٥٤ . أما المعيطي ؛ فهو الفقيه أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبيد الله بن الوليد المعيطي المديني ، من ولد عقبة بن أبي معيط ، من بني أمية . كان من أشراف قرطبة ، وفي عداد الفقهاء المشاورين بها ، ثم خرج منها أيام الفتنة ، واستقر عند مجاهد العامري في دانية وميورقة ، وقد بايع له مجاهد بالخلافة وأثبت اسمه في سكته وفي أعلامه ؛ انظر : ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ .

١٢٩. ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ج ٢ ، ص ؛ ابن خلدون ؛ إحسان عباس ، الجانب السياسي من رحلة ابن العربي إلى المشرق ، مجلة الأبحاث ، السنة ١٦ ، الجزء الأول ، آذار ، ١٩٦٣ ، ص ٢١٩ .

١٣٠. ليفي بروفنسال ، تاريخ إسبانيا الإسلامية ، مج ٢ ، ج ١ ، ص ٣٦ .

١٣١. ابن عذاري ، البيان ، ج ٤ ، ص ٢٧ ـ ٢٨ ؛ حتامله ، الأندلس ، ص ٥٣٣
١٣٢. عنان ، دولة الإسلام ، العصر الثالث : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٤٢
١٣٣. ابن خلدون ، العبر ، ٦ / ١٨٨ ؛ عنان ، دولة الاسلام ، العصر الثالث ، ص ٤١
١٣٤. ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٣٦ .
١٣٥. ابن أبي زرع الفاسي ، علي بن عبد الله ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،(الرباط: صور للطباعة والوراقة ، ١٩٧٢ م) ، ص ١٣٨؛ عنان ، دولة الاسلام ، العصر الثالث: عصر المرابطين والموحدين، ص ٤٠ .
١٣٦. عز الدين موسى ، الموحدون في الغرب الإسلامي : تنظيماتهم ونظمهم ، ط ١ ، (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م) ، ص ١٢١ .
١٣٧. ابن الأبار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي ، (مجريط : مطبع روخس ، ١٨٨٥ م) ، ص ٣٢٣ ؛ ابن الجزري ، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد ، غاية النهاية في طبقات القراء ، نشره برجستراسر، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)،ج ٢، ص ٣٨٥ .
١٣٨. ميورقة Mallorca : جزيرة في الحوض الغربي من البحر المتوسط . تقع إلى الغرب من جزيرة سردانية وإلى الشرق من جزيرة يابسة ؛ انظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥٦٧ .
١٣٩. هو محمد بن علي بن يوسف من مسوفة من صنهاجة . وقد سمي بنو غانية باسم أمهم غانية ، وهي لمتونية من أقرباء يوسف بن تاشفين . ربي محمد وأخوه يحيى في بلاط مراكش في عهد يوسف بن تاشفين وولده علي . ولاه علي بن يوسف الجزائر الشرقية سنة ٥٢٠ هـ فضبطها وطالت أيامه بها ؛ انظر : عنان ، دولة الإسلام ـ عصر المرابطين والموحدين ـ ، ص ١٤٩ ، ١٥٣ .
١٤٠. عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، (القاهرة : لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ١٩٦٣ م) ، ص ٣٤٤ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين ، القسم الثاني عصر الموحدين ، ص ١٤٥ .

١٤١. عز الدين موسى ، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ، ط ١ ، (بيروت : دار الشروق ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) ، ص ٣٢ وما بعدها .

١٤٢. مرسية Murcia : من أعمال كورة تدمير جنوب شرقي الأندلس ، بناها الأمير الأموي عبد الرحمن بن الحكم ، واشتهرت بكثرة أشجارها وحدائقها . أما اليوم فهي مدينة زراعية صناعية تنتج الدقيق والفواكه ، ويصنع بها الصوف والكتان والقطن والبارود ؛ انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٠٧ ؛ محمد عبد الله عنان ، الآثار الأندلسية ، ص ٩٩ .

١٤٣. محمد بن يوسف بن هود الجذامي . ثار بمرسية ضد الموحدين ، وخطب للعباسيين أوائل القرن السابع الهجري ؛ انظر ، المقري ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٤٦ .

١٤٤. سرقسطة Saragosse : عاصمة الثغر الأعلى في العصر الأموي ، تقع في شمال شرق الأندلس ، وتمتاز بكثرة بساتينها ، وتعرف بالبيضاء . وهي اليوم مركز تجاري وصناعي ؛ انظر : ابن عبد المنعم الحميري،الروض،ص٣١٧؛ عنان ، الآثار، ص١٠٤.

١٤٥. ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٦٩ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٢٨٠ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢٧٦ ؛ محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، ص ٣١ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين ، ص ٣٩١، ٣٩٣ ، ٤١٢

١٤٦. انظر نص كتاب الخليفة العباسي المستنصر لمحمد بن هود في الملحق (٣)

١٤٧. غرناطة Granada : من أقدم مدن كورة إلبيرة وأعظمها وأحسنها . اتخذها بنو نصر عاصمة لهم . تشتهر اليوم بالزراعة والصناعة ؛ انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤، ص ١٩٥ ؛ محمد عبد الله عنان ، الآثار الأندلسية ، ص ١٦٢ .

١٤٨. ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، تحقيق سيد كسروي ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ .

١٤٩. ابن الأبار ، التكملة ، ج ٣ ، ص ١١١ .

١٥٠. ابن الخطيب ، اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، تحقيق محمد زينهم ، ط ١ ، (القاهرة : الدار الثقافية للنشر ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م) ، ص ٤٤ ـ ٤٥ .

١٥١. مجهول المؤلف ، تاريخ عبد الرحمن الناصر ، تحقيق عدنان آل طعمه ، ط ١ ، (دمشق : دار سعد الدين، ١٩٩٢ م)، ص ٥٦ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٩٨ ـ ١٩٩ .

١٥٢. عنان ، دولة الإسلام ، العصر الثالث ، ص ٤٢ ـ ٤٣ .

١٥٣. ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٢ .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

١. ابن الأبار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، (القاهرة : الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٢ م)

٢. ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن محمد ، الكامل في التاريخ ، (بيروت : دار الفكر ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٨ م)

٣. ابن الأزرق، أبو عبد الله محمد بن علي، بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق علي سامي النشار، (بغداد : منشورات وزارة الإعلام العراقية ، ١٩٧٧)

٤. ابن بسام الشنتريني ، أبو الحسن علي ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق سالم مصطفى البدري، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م)

٥. ابن تيمية ، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ، نقد مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات لابن حزم ، ط ٢ ، (بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م)

٦. ابن الجزري ، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد ، غاية النهاية في طبقات القراء ، نشره برجستراسر، ط ١ ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م)

٧. ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد ، طوق الحمامة في الألفة والألاف ـ ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي ـ ، تحقيق إحسان عباس ، ط ٢ ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ٢٠٠٧ م)

٨. ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٥ ، (القاهرة : دار المعارف ، د . ت)

٩. الحميدي ، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر ، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، ط ١ ، (القاهرة ـ بيروت : دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م).

١٠. الحميري ، محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ط ٢ ، (بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٤٨ م)

١١. ابن حيان ، أبو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبي ، المقتبس ، السفر الثاني ، تحقيق محمود علي مكي ، ط ١ ، (الرياض : مركز الملك فيصل لبحوث والدراسات الإسلامية ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م)

١٢. ابن حيان ، أبو مروان حيان بن خلف ، المقتبس، نشره بيدرو شالميتا ، (مدريد : المعهد الإسباني العربي للثقافة ، ١٩٧٩ م) .

١٣. ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ، المسالك والممالك ، ط ١ ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م)

١٤. ابن الخطيب ، لسان الدين ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام ، تحقيق سيد كسروي ، ط ١، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م)

١٥. ابن خلدون، المقدمة، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، د . ت)

١٦. ابن الدلائي العذري ، أحمد بن عمر ، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك ، تحقيق عبد العزيز الأهواني ، (مدريد : معهد الدراسات الإسلامية ، ١٩٦٥)

١٧. ابن عذاري ، أبو العباس أحمد بن محمد ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق جورج كولان وليفي بروفنسال، (بيروت : دار الثقافة ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م)

١٨. ابن أبي زرع الفاسي ، علي بن عبد الله ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (الرباط : صور للطباعة والوراقة ، ١٩٧٢ م)

١٩. ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، ط١ ، (بيروت : مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤) ،

٢٠. المالكي ، أبو بكر عبد الله بن محمد ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوافهم ، تحقيق بشير البكوش ، ط ٢ ، (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م)

٢١. مجهول المؤلف، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط١،(القاهرة ـ بيروت: دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني،١٤٠١ هـ / ١٩٨١م).

٢٢. مجهول المؤلف ، تاريخ عبد الرحمن الناصر ، تحقيق عدنان آل طعمه ، ط١، (دمشق : دار سعد الدين ، ١٩٩٢ م)

٢٣. مجهول المؤلف ، ذكر بلاد الأندلس ، تحقيق لويس مولينا ، (مدريد : المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، ١٩٨٣)

٢٤. مجهول المؤلف ، وصف جديد لقرطبة الإسلامية، نشره حسين مؤنس ، (مدريد : صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦) .

٢٥. المراكشي، عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان،(القاهرة : لجنة إحياء التراث الإسلامي،١٩٦٣م).

٢٦. المرواني، أبو طالب عبد الجبار بن عبد الله ، قطعة من كتاب عيون الإمامة ونواظر السياسة، تحقيق بشار عواد معروف وصلاح محمد جرار، ط١، (تونس: دار الغرب الإسلامي، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م).

٢٧. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، (بيروت : دار المعرفة ، د . ت) .

٢٨. المقري ، أحمد بن محمد ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، (بيروت : دار صادر ، د . ت)

٢٩. ياقوت ، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي ، معجم البلدان ، (بيروت : دار صادر ، د . ت)

ثانياً : الدراسات الحديثة :

١. بروفنسال ، ليفي ، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية ، ترجمة علي البمبي وزميليه ، (القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٠)

٢. بروفنسال ، ليفي ، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية ـ النظم والمؤسسات والحياة الاجتماعية والفكرية ـ ، ترجمة علي عبد الرؤوف البمبي وزميليه ، (القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٢)

٣. جواد ، ناجي ، رحلتي إلى إفريقية العربية (الجزائر) ، (حلب : مجلة الضاد ، د . ت)

٤. حتاملـه ، محمـد عبـده ، الأنـدلس ـ التـاريخ والحـضارة والمحنـة ـ ، (عمان ـ الأردن : مطابع الدستور التجارية ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م)

٥. الحريري ، محمد عيسى ، حركات المولدين في الجنوب الأندلسي في عصر الإمارة الأموية بالأندلس،(د.ت: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م) .

٦. الراشد ، عبد الجليل عبد الرضا ، العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والأنـدلس فـي القـرنين الثـاني والثالـث للهجـرة ، (الريـاض : منـشورات مكتبة النهضة ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م)

٧. سـالم ، السيد عبـد العزيـز، " حـول اتخـاذ السـواد ورفـع الألويـة والأعـلام السوداء في المغرب والأندلس" ـ بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة ـ ط ١، (بيروت : دار الغرب الإسلامي، ١٤١١ هـ / ١٩٩١) .

٨. سالم ، السيد عبد العزيز ، " العلاء بن مغيث الجذامي الثائر على دولة بني أمية في الأندلس هل هو يمني من جند مصر " ، بحوث إسلامية في التـاريخ والحـضارة والآثـار ، ط ١ ، (بيـروت : دار الغـرب الإسـلامي ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١)

٩. الشيخ ، محمد مرسي ، دولة الفرنجة وعلاقتها بـالأمويين في الأنـدلس حتـى أواخـر القـرن العاشـر المـيلادي ، (الإسـكندرية : مؤسـسة شـباب الجامعة ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١)

١٠. الصوفي ، خالد، تاريخ العرب في الأندلس ، ط ٢ ، (د . م : منشورات جامعة قاريونس ، ١٩٨٠)

١١. طه ، عبد الواحد ذنون ، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس ، (العراق : دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٢ م)

١٢. العبـادي ، أحمـد مختـار ، فـي تـاريخ المغـرب والأنـدلس ، (الإسكندرية : مؤسسة الثقافة الجامعية ، د . ت)

١٣. العبادي ، عبد الحميد ، المجمل في تاريخ الأندلس ، (القاهرة : ١٩٨٥ م)

١٤. عباس ، إحسان ، الجانب السياسي من رحلة ابن العربي إلى المشرق ، مجلة الأبحاث ، السنة ١٦ .

١٥. عبد الحميد ، سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي ، (الإسكندرية : منشأة المعارف ، ١٩٩٥)

١٦. عبد المولى ، محمد أحمد ، القوى السنية في المغرب من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة الزيرية ، ط ١ ، (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ م)

١٧. ابن عبود ، محمد ، جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري،(تطوان: المعهد الجامعي للبحث العلمي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م) .

١٨. ابن العربي ، الصديق ، كتاب المغرب ، ط ٣ ، (بيروت : دار الغرب الإسلامي ودار الثقافة ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) ، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

١٩. عنان ، محمد عبد الله ، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال ، ط ٢ ، (القاهرة : مؤسسة الخانجي ، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م)

٢٠. عنان ، محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس – عصر الطوائف – ، ط ٤ ، (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م)

٢١. عنان، محمد عبد الله ، الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال، ط ٢ ، (القاهرة : مؤسسة الخانجي ، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١)

٢٢. موسى ، عز الدين ، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ، ط ١، (بيروت : دار الشروق ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م)

٢٣. موسى، عز الدين ، الموحدون في الغرب الإسلامي: تنظيماتهم ونظمهم ، ط ١ ، (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م)

٢٤. مؤنس ، حسين ، " المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط إلى الحروب الصليبية " ، المجلة التاريخية المصرية ، ١٩٥١

٢٥. مؤنس ، حسين ، شيوخ العصر في الأندلس ، ط ٢ ، (القاهرة : دار الرشاد ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م) .

٢٦. الوراكلي ، حسن ، " حول مفهوم الخلافة عند ابن حزم " ـ أبحاث أندلسية ـ ، ط ١ ، (طنجة : المطابع المغربية والدولية ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م)

ثالثاً : الدراسات الأجنبية :

1 _ Mahmud Ali Makki , Ensayo Sobre Las Aporaciones Orientales Enla Espana Musulmana , (Madrid : Publicaiones Del Instituto De Estudios Islamicos , 1968) , P . 91

2 _ Miguel Cruz Hernandez , LA ESTRUCTURA SOCIAL , AWRAQ , Instituto Hispano – Arabe de Cultura . Numero 2 , 1979

3 _ Thomas Glick , Islamic and Christian Spain in the Early Middle Ages , (Princeton : Princeton University Prees , 1979 , p 41 .